الباب الخامس

الملاحـــــــق

الملحق الأول

التجـارب التغييريــة

الثورة الروسية

خضعت روسيا لحكم قياصرة آل رومانوف Romanov الذين مارسوا حكمًا **(أوتوقراطيًا)** فرديًا استبداديًا بدعم من النبلاء ورجال الدين الأرثوذكس والجيش، ونتج عن ذلك حدوث انتفاضات أبرزها انتفاضة ١٩٠٥ **(بعد هزيمة روسيا أمام اليابان)**، بسبب كثرة الضرائب وارتفاع الأسعار، ورغم فشلها فقد جعلت القيصر نيقولا الثاني يدعو إلى انتخاب مجلس الدوما الذي تم حله بعد ذلك. واجه القيصر الأحزاب المعارضة بالقمع **(الاعتقال والنفي)**، فلجأ بعضها إلى العمل السري. ثم كان لمشاركة روسيا في الحرب العالمية الأولى دور كبير في تأزم الأوضاع الداخلية بسبب تعبئة ١٣ مليون مجند، واستعمال السكك الحديدية، وتراجع الإنتاج الفلاحي والصناعي، وحصول عجز في المواد الغذائية. وفي سنة ١٩١٦ وصل عدد القتلى ٣ مليون وعدد الجرحى ٥ مليون، وكان الجنود يفرون من جبهات القتال.

عرفت الثورة الروسية مرحلتين:

أ. مرحلة ثورة فبراير عام ١٩١٧ والتي أدت إلى الإطاحة بالنظام القيصري:

حيث بدأت الثورة في ٢٣ فبراير عام ١٩١٧ بتظاهر نساء بتروغراد (الاحتفال باليوم العالمي للمرأة)،

ثم تظاهر في يوم ٢٤ حوالي ٢٠٠ ألف عامل في بتروغراد،

وفي يوم ٢٥ حدث إضراب عام،

وفي يوم ٢٦ احتل المتظاهرون الشوارع بمشاركة الجنود،

وفي يوم ٢٧ تم تكوين السوفييتات (المجالس الثورية)، وتشكلت حكومة

برجوازية مؤقتة (برئاسة لفوف Lvov ثم كيرنسكي Kerenski في ٧يوليو) من الكاديت والاشتراكيين الثوريين والمناشفة، وكانت حكومة موازية أكثر تمثيلًا للشعب من الحكومة القائمة.

وفي ٢ مارس اضطر القيصر إلى التنازل عن الحكم.

وعارض البلاشفة هذه الحكومة (حيث كان معظم زعمائهم في السجن أو المنفى)، خاصة وأن الحكومة المؤقتة لم تعلن الانسحاب من الحرب العالمية الأولى.

ب. مرحلة ثورة أكتوبر التي نجح فيها البلاشفة في إقامة النظام الاشتراكي:

استغل البلاشفة فشل الحكومة المؤقتة في تحقيق مطالب الشعب، ورغبتها في الحفاظ على مصالح البرجوازية، فسيطروا على السوفييتات المحلية، وأعلنوا انتفاضة مسلحة في ٢٤ أكتوبر عام١٩١٧، وسيطروا على مقر الحكومة المؤقتة (قصر الشتاء)، وكونوا حكومة بولشفية برئاسة لينين..[١]

(١) لقراءة المزيد عن الثورة الروسية يمكن الرجوع إلى:

- Sidney Harcave, First Blood: The Russian Revolution of 1905 (New York: Macmillan, 1964, and London: Collier Macmillan, 1964).
- Solomon M. Schwartz, The Russian Revolution of 1905: The Worker's Movement and the Formation of Bolshevism and Menshevism, trans. by Gertrude Vakar, with a Preface by Leopold H. Haimson (Chicago and London: University of Chicago Press, 1967), esp. pp. 129-195.
- Richard Charques, The Twilight of Imperial Russia (London: Phoenix House, 1958), pp. 111-139.
- Leonard Schapiro, The Communist Party of the Soviet Union (New York: Random House, 1960, and London: Eyre & Spottiswoode, 1960), pp. 63-70 and 75.
- Hugh Seton-Watson, The Decline of Imperial Russia, 1855-1914 (New York: Frederick A. Praeger and London: Methuen & Co., 1952), pp. 219-260.
- Bertram D. Wolfe, Three Who Made a Revolution (New York: Dial Press, 1948, and London: Thames and Hudson, 1956), pp. 278-336.
- Michael Prawdin, The Unmentionable Nechaev: A Key to Bolshevism (London: Allen and Unwin, 1961), pp. 147-149.

المقاومة الصينية للغزو الياباني

شنت اليابان عام ١٨٩٤ (بعد مرور عشرين عامًا من حكم الإمبراطور قوانغ شيوي لأسرة تشينغ) حرب ١٨٩٤-١٨٩٥ لغزو الصين، وهزمت حكومة أسرة تشينغ، واضطرت إلى التوقيع على معاهدة شيمونوسيكي المذلة تحت الحراب اليابانية، والتي تم بموجبها التنازل عن تايوان. فعمت البلاد من أقصاها إلى أقصاها موجة من الغضب والغيظ إثر سماع الخبر. ورفع أكثر من ألف مرشح - كانوا في بكين للمشاركة في الامتحان الإمبراطوري على المستوى الوطني من ١٨ مقاطعة بما فيها تايوان- عريضة ضد التنازل عن تايوان. أما في تايوان فقد أعلن الإضراب عن التجارة بطرق الصنوج. وانضم القائد ليو يونغ فو - وهو المسئول عن الشؤون العسكرية في تايوان - وغيره إلى أهالي تايوان ليقاتلوا قوات الاحتلال اليابانية بصورة مستميتة. وقد عبر المواطنون عن تضامنهم في هذا الكفاح بالتبرع بأموالهم أو الذهاب في مجموعات إلى تايوان لمقاومة العدوان الياباني. وظل أهالي تايوان مصرين على القتال ببسالة وإباء أثناء احتلال اليابان لها، حيث أسسوا في البداية جيشًا تطوعيًا للقيام بعمليات فدائية، وبعد أن أطاحت ثورة ١٩١١ بحكومة أسرة تشينغ شاركوا إخوتهم على البر الرئيسي في تفجير أكثر من عشر انتفاضات مسلحة، إلى أن وصل الأمر إلى العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن حيث صارت الحركة الجماهيرية على الجزيرة ضد حكم الاستعمار الياباني عارمة على نحو أشد مجتاحة تايوان جنوبًا وشمالًا .

واعتبارًا من عام ١٩٣٨ هب الشعب الصيني في حرب وطنية ضد الغزو الياباني، وأعلنت الحكومة الصينية بجلاء وعلى مسمع كافة الجهات محليًا ودوليًا في

البيان الصيني لإعلان الحرب ضد اليابان عن إلغاء كل ما يتصل بالعلاقات الصينية اليابانية من معاهدات واتفاقيات وعقود، وقد شمل هذا الإلغاء بطبيعة الحال معاهدة شيمونوسيكي. كما أعلن هذا البيان برزانة أن الصين سوف تسترجع أراضي تايوان وبنغهو والمقاطعات الأربع في شمال شرقي الصين .وإثر حرب الثماني سنوات المريرة ضد العدوان الياباني؛ حقق الشعب الصيني انتصارًا نهائيًا عام ١٩٤٥ استعاد به أرض تايوان المغتصبة.

التجربة الهندية

أُنشئت الشركة البريطانية للهند الشرقية عام ١٦٠٠، وتمكن أسطولها من تدمير الأسطول البرتغالي عام ١٦١٢، وأُقيمت القلاع البريطانية في مدن هندية عدة، كما ضمت جزيرة بومباي عام ١٦٦١ وأنشأت كال كوتا عام ١٦٩٠. وفي عام ١٦٠٢ أُنشئت الشركة الهولندية للهند واحتلت سيلان. وفي عام ١٦٦٤، أنشأ الفرنسيون شركة الهند الشرقية. إلا أن السيطرة الفعلية بقيت للبريطانيين الذين عينوا حكامًا على الهند أبرزهم اللورد تشارلز كونواليس (١٧٨٦ - ١٧٩٣) الذي منح الأرض للمغول فأمسوا مزارعين وانصرفوا بذلك عن الحرب ومقاومة الاحتلال. وفي عام ١٨٥٨ تنازلت شركة الهند عن البلاد للتاج البريطاني. وفي عام ١٨٧٧ أصبحت الملكة فيكتوريا إمبراطورة الهند، التي تشمل أيضًا برمانيا وسيلان، فانتشر الموظفون البريطانيون في المراكز المهمة كالضباط والقضاة، وأمسكوا بزمام الاقتصاد.

وفي عام ١٨٦٩ ولد غاندي الذي أصبح محرر الهند وبطلها القومي قبل اغتياله في ٣٠ يناير ١٩٤٨.

وخلال الحرب العالمية الأولى، قدمت الهند للجيش البريطاني مليون وثلاثمائة ألف مقاتل انضووا في الفرق الهندية الشهيرة. وفي الحرب العالمية الثانية، قدمت الهند مجددًا أكثر من مليونين ونصف مليون مقاتل للجيوش البريطانية.

بعد أن شارك غاندي في المقاومة اللاعنيفة للتمييز العنصري في جنوب إفريقيا رجع إلى الهند وهو يحمل بين جنبيه عبء القضية الهندية، واعتكف في منزله أيامًا عديدة يفكر في الاستراتيجية المثلى التي يمكن بها مواجهة قوة الاحتلال البريطاني،

وقد قرر عقب التفكير العميق القيام بحملة لاعنيفة ضد السلطات البريطانية، واستعدادًا لهذه الحملة – والتي اشتهرت بحملة عام ١٩٣٠ - أعد غاندي برنامجًا يتضمن المطالب السياسية بالإضافة إلى خطة واضحة ومحددة للتمرد اللاعنيف الذي تضمن عصيانًا مدنيًا، كما تضمن رجاءً إلى الحكومة الهندية بعدم التنازل عن حقوق البلاد لسلطات الاحتلال.

وقد ركز غاندي في بداية حملته اللاعنيفة على قانون الملح، وهو القانون الذي كان يفرض على الهنود ضرائب باهظة مقابل الملح، كما كان يجعل إنتاج وصناعة الملح حكرًا على الحكومة البريطانية فقط، وانطلاقًا من هذا القانون الظالم انطلق غاندي في مسيرته الشهيرة – مسيرة الملح – نحو البحر ليستخلص الملح بنفسه، ودعا الشعب الهندي إلى الخروج معه إلى ساحل البحر ليمارسوا العصيان المدني من خلال كسر قانون احتكار الملح المفروض عليهم من قبل السلطات البريطانية واستخراج الملح، وقد استغرقت هذه المسيرة ستةً وعشرين يومًا قطع فيها غاندي وأتباعه والمتظاهرون مسافة ثلاثمائة وثمانين كيلو مترًا. وقد كانت هذه المسيرة بمثابة الشرارة التي أدت إلى انطلاق الثورة العارمة اللاعنيفة في شتى أرجاء شبه القارة الهندية، فبمجرد انطلاق المسيرة بدأت التجمعات الجماهيرية والاستعراضات الضخمة والخطابات والبيانات الجماهيرية شديدة اللهجة، وقاطع الهنود الملابس الأجنبية، وهجر الطلاب المدارس الحكومية، وتم رفع الأعلام الوطنية، بالإضافة إلى المقاطعة الاجتماعية لموظفي الحكومة، والإضرابات العامة، والاستقالات الجماعية من قبل موظفي الحكومة وأعضاء المجالس والجمعيات التشريعية، كما تم مقاطعة المصالح الحكومية المختلفة بالإضافة إلى شركات التأمين الأجنبية والخدمات البريدية والتلغرافية. وقد رفض الكثير من المواطنين دفع الضرائب المستحقة عليهم. كما قامت المقاومة اللاعنيفة بالهجوم على مصانع ومراكز إنتاج

الملح واحتلتها سلميًا، وصادرت الملح الذي كان بحوزة تلك الشركات الحكومية.

وفي أثناء هذه الحملة اعتقلت السلطات غاندي، كما اعتقل مائة ألف هندي منهم حوالي سبع عشرة ألف امرأة تم وضعهم في السجون وفي معسكرات الاعتقال. وإضافة إلى ذلك كانت هناك العديد من الإصابات وعمليات إطلاق النار بالإضافة إلى الرقابة والتخويف والغرامات ومصادرة الممتلكات ومهاجمة ومنع الاجتماعات ومقار المنظمات وغيرها من الإجراءات، وفي كثير من الحالات تم إطلاق النار بشكل مباشر مما أدى إلى مقتل العديد من الهنود. وخلال هذا العام تأثرت الوظائف والعمليات الحكومية بشكل كبير، وعانت الحكومة الكثير بسبب المقاومة. وأخيرًا تم الاتفاق على هدنة تم بموجبها الاتفاق على البدء في مفاوضات مباشرة بين نائب الملكة وغاندي..

ولم تكن المفاوضات تعني غاندي كثيرًا، بل إن أكثر ما أسعده هو أن هذه القوة التي أظهرها الهنود في مواجهة الاحتلال جعلت الاستقلال الكلي عن بريطانيا أمرًا ممكنًا، وجعلت المفاوض الهندي يجلس في موقع الندية -إن لم يكن موقع القوة- مع نائب الملكة البريطاني، وهو ما تحقق بالفعل إذ حصلت الهند على استقلالها عن التاج البريطاني عام ١٩٤٧.[١]

(١) لقراءة المزيد عن التجربة الهندية يمكن الرجوع إلى:

- Gene Sharp, Gandhi Wields The Weapon of Moral Power, pp. 37-226.
- S. Gopal, The Viceroyalty of Lord Irwin, 1926 – 1931 (London: Oxford University Press, 1957), pp. 54-122.
- Ranganath R Diwaker, Satyagraha: Its Technique and History (Bombay: Hind Kitabs, 1946).
- T. K. Mahadevan, eds., Gandhi: His relevance for Our Times (Berkeley, Calif.: World Without War Council, 1971, and New Delhi: Gandhi Peace Foundation, and Bombay: Bharatiya Vidya Bhavan, 1967).
- Peter Ackerman and Jack DuVall, A Force More Powerful: A Century of Nonviolent Conflict, (St. Martin's Press, 2000).

الثورة الإيرانية

كانت إيران تعيش في حالة من الاضطراب السياسي والاجتماعي والاقتصادي، واحتقان شعبي شديد، يأخذ مكانه على الساحة في شكل هبات وانتفاضات جماهيرية بسبب الأوضاع الاقتصادية المتدهورة التي يعاني منها غالبية الشعب، رغم الثروة البترولية الضخمة التي تمتلكها البلاد، بالإضافة إلى القبضة الحديدية التي لا تسمح بالمعارضة في ظل حكم الشاه محمد رضا بلهوي، الذي اتبع أساليب عنيفة لتصفية معارضيه بالاغتيال والنفي والسجن، وما يتردد من أخبار عن فساد الشاه وأسرته وإسرافهم وبذخهم الشديد، كل هذه الأمور وغيرها جعلت المعارضة ضد النظام السياسي للشاه تزداد.

وبالرغم من الاختناق العام فإن الساحة الإيرانية لم تخل قط من الحركة، وكانت في معظمها ردود أفعال تقمع بشدة. كانت التضحيات أكبر من المكاسب. ولم يكن لديهم سوى الإضرابات والمظاهرات المحدودة التي تبدو كفقاعات أمام عتو النظام وجبروته. ونشأت الكثير من الحركات السرية التي ربما قامت كل منها بعمل واحد ثم تم تصفيتها. وبينما كانت هذه التضحيات الفردية لا تنتهي؛ كانت الحركات الفكرية تنظم نفسها، وبدأ الحراك الفكري والسياسي يسيران جنبًا إلى جنب.

وكان أكثر المعارضين هم العلماء، وعلى رأسهم آية الله الخميني الذي كان يدرس في مدرسة الفياضية في قم، ويحتشد الآلاف لخطبه ومواعظه الدينية، وأسس الخميني «**الاتحاد الإسلامي**» وكان يرفض كل ما يصدره الشاه، ويرفض كل ما يصدره المجلس النيابي من قوانين أو يصادق عليه؛ لأنه يصدر عن هيئة غير مخولة،

ولا تنطبق عليها الصفة الشرعية.

كان الخميني يكرر دائمًا وصية الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– لأبنائه: «**فلتكونوا دائمًا حماة الضعفاء وأعداء الظالمين**»، **لذلك حينما قام الشاه بإعطاء الحصانة السياسية للخبراء والمستشارين الأمريكيين، وأعلن عن** «الثورة البيضاء» التي تهدف في حقيقتها إلى إخضاع علماء الدين للدولة عن طريق سحب جزء كبير من الأراضي التي يمتلكونها من الوقف، وتهديد كبار الملاك الزراعيين بنزع ملكياتهم، وإعطاء حق التصويت للمرأة، استغل الخميني كل هذا في الدعاية ضد الشاه وسياساته، واتهمه بأنه ضد الشريعة والدستور، وأنه باع إيران للأمريكيين، وكانت المناسبة الأولى التي ظهر فيها اسم الخميني أثناء احتفالات الشيعة بذكرى استشهاد الإمام الحسين في يوم عاشوراء؛ حيث دعا إلى التظاهر والإضراب، واستجابت الجماهير لنداءاته، وانقلبت مواكب عاشوراء إلى تظاهرات عام [١٣٨٣هـ-١٩٦٣م] اصطدمت بقوات الأمن، وسقط ألفا قتيل من المتظاهرين، وأظهر ذلك تأثير الخميني البالغ في الجماهير.

وقد نجح الشاه في قمع المظاهرات دون اللجوء إلى قوات الجيش، وتوجه بنداء إلى العلماء ليلتزموا الهدوء، ووعد بعدم المساس بأراضي الأوقاف، وأُلقي القبض على الخميني، ثم أُمر بنفيه إلى خارج البلاد.

لقد استخدم الخميني فتاواه كسلاح فتاك في قضية التثوير، فأصدر فتواه المشهورة: «إن التقية حرام، وإظهار الحقائق واجب مهما كانت النتيجة، ولا ينبغي على فقهاء الإسلام استخدام التقية في المواقف التي تجب فيها التقية على الآخرين... إن السكوت هذه الأيام تأييد لبطانة الجبار ومساعدة لأعداء الإسلام».

وتحولت المساجد والمجالس التي كانت تعقد للعزاء في ذكرى استشهاد الحسين إلى جبهات مقاومة ضد النظام. واستطاع الخميني أن يربط بين خروج الحسين على

الظلم وخروج الشعب الإيراني على الشاه. وكان كثيرًا ما يقول: «لقد فات أوان الندم والبكاء على الحسين... ومن أراد أن يلحق به فالفرصة سانحة أمامه».

لقد استفاد الخميني من أن البنية التحتية للشارع الخميني كانت لا تزال دينية. فما يقوله المراجع وعلماء الدين واجب التنفيذ، ووجود عالم دين على رأس الثورة ليس بالأمر الهين في إيران. وكانت المواكب تضم مئات الألوف في كل مدينة ، وارتفعت الشعارات بحياة الخميني وسقوط الشاه.

لقد لقب الخميني باسم «محطم الأصنام» لأنه لم يخاطب الشاه قط بلفظ «صاحب الجلالة» كما اعتاد زعماء المعارضة عند مخاطبته.

لقد نجح الخميني في الاستفادة من المواسم والحفلات والتقاليد الشيعية في تحويل عناصر الشعب المخدرة إلى قوة ثورية.

وبشروق شمس ٥ يونيه عام ١٩٦٣ انتشر خبر القبض على الإمام. واشتعلت المظاهرات تهتف بسقوط الشاه، فأصدر الشاه أوامره بإطلاق النار على المتظاهرين، وداست الدبابات الجثث. وزحف المتظاهرون إلى مبنى الإذاعة واستولوا عليه، وخلال دقائق ولأول مرة يرتفع الشعار ليسمعه العالم كله بعد خمس عشرة سنة من القمع «الموت للشاه».. كانت الجماهير العزل تهاجم الدبابات بصدور عارية، وكان رصاص الشاه يحصدهم وهم يتقدمون.

وبذلك يكون الخميني قد سطر ملحمة الثورة من سبتمبر عام ١٩٦٣ حتى نوفمبر عام ١٩٦٤ من خلال التحدي العلني للشاه. فتم نفيه بعد ذلك. وقد ساهم النظام بغبائه وجبروته في تحويل الخميني إلى زعيم عالمي.

ومن ١٩٦٤- ١٩٧١ هدأت حدة المعارضة وبدأ الشباب الإيراني يعد نفسه فكريًا وعسكريًا.. فتدربوا على السلاح في الأردن ولبنان ومصر. وإزاء هذا العمل

السري كان النظام يلجأ إلى التصفية الجسدية.

كان الجنوح إلى الحل العسكري يزداد يومًا بعد يوم. وفي أواخر الستينات ظهرت حوالي ٦-١٢ منظمة عسكرية. غير أن منظمتين فقط استطاعاتا تنفيذ عمليات عسكرية. وبالرغم من التنظيم الجيد للمجاهدين إلا أن عملياتهم كانت جد قليلة، ولم تكن ناجحة تمامًا.

الحياة في المنفى

تم نفي الخميني بعد الأحداث الدموية (١٩٦٤) بشهور إلى تركيا، وعاش فيها ما يقرب من أحد عشر شهرًا، لكنه اختار بعد ذلك أن يعيش في النجف الأشرف بالعراق، وبدأت الأوضاع تعود إلى الهدوء الظاهري في إيران، وأصبح النجف مركز اهتمام كبير وبؤرة تجمع كل المعارضين لنظام الشاه خارج إيران، تحت زعامة الخميني الذي أخذ في إلقاء الخطب والمحاضرات المؤثرة عن الأوضاع في إيران، فتناقلها أتباعه ومريدوه، ووجدت صدى واسعًا بين الإيرانيين. وكان علماء الدين والمعارضة قد بدءوا في البحث عن وسيلة للإطاحة بالشاه، واختاروا لتحقيق ذلك حرب العصابات منذ مطلع [١٣٩٠هـ=١٩٧٠م]، وظهرت جمعيتان ثوريتان هما: «فدائيو خلق» الماركسية، و«مجاهدو خلق» التي يقودها بعض الرجال الذين تعلموا على يد المفكر البارز «علي شريعتي»، الذي يعتبر المنظر الأول للثورة الإيرانية.

وقد حاول النظام العراقي سنة [١٣٩٤هـ=١٩٧٤م] الحصول من الخميني على تأييد ديني وسياسي أثناء خلافاته مع إيران، إلا أنه رفض ذلك الأمر، وعندما وقّعت بغداد وطهران اتفاقية الجزائر [١٣٩٥هـ=١٩٧٥م] طلب العراق من الخميني السكوت عن معارضته للشاه، وإلا فعليه الرحيل إلى أي مكان آخر، فآثر الخميني السكوت المؤقت حتى تتغير الأوضاع، ثم تكرر طلب السافاك والشاه بعد عامين لدى العراق بأن يوقف الخميني نشاطاته، فخيرته بغداد بين البقاء صامتًا أو

الرحيل، فآثر الثانية، غير أن الشاه أدرك خطورة مغادرة الخميني للعراق وطلب من العراقيين منعه من الخروج. وقبيل هذا الأمر وقعت له مأساة شديدة عميقة تمثلت في اغتيال ابنه الأكبر مصطفى في كمين دبره له رجال السافاك، حيث كان يضطلع بالدور الأكبر في حمل رسائله إلى مؤيديه في إيران.

وتحول الحزن على مصطفى إلى مناسبة ليظهر فيها الناس ولاءهم للخميني وتأييدهم له وعداءهم للشاه، وحاول ألوف الإيرانيين اختراق الحدود العراقية الإيرانية لتقديم العزاء للخميني في النجف الأشرف، لكن الشرطة منعتهم وسقط بعض القتلى، فردوا على ذلك بإقامة المآتم في طهران وبقية المدن الإيرانية، وكثرت الوفود لتعزيته، عندها وجه الخميني رسالة إلى مؤيديه تحت عنوان: «لقد سكبنا ما فيه الكفاية من الدموع»، وطالبهم بتعليمات أربعة، أن يقاطعوا المؤسسات الحكومية، وأن يسحبوا كل أشكال التعاون معها، وألا يسهموا في أي نشاط يفيدها، وأن يقيموا مؤسسات إسلامية في جميع المجالات.

ولأن فتوى العلماء مقدسة كدماء الشهداء، فإن الإيرانيين أخذوا فتواه على محمل الجد والعمل، واتسع نطاق التظاهر داخل إيران، مع تدفق آلاف من أشرطة الكاسيت تحمل صوت الخميني وتحريضه على التمرد والعصيان.

نوفل لوشانو.. والعالمية

أُجبر الخميني على مغادرة العراق، فقرر الذهاب إلى الكويت، فصدر أمر بإغلاق الحدود في وجهه، فعاد إلى النجف ومنها إلى دمشق، ثم توجه إلى باريس في [شوال ١٣٩٧هـ =أكتوبر ١٩٧٧م] واستقر في بيت صغير في ضاحية نوفل لوشانو على بعد (٢٠) ميلًا غربي باريس، وأصبحت تلك الضاحية الهادئة مقرًا لقيادته لحين عودته إلى إيران. وفي باريس انتقل من زعيم محلي إلى العالمية، وكان وجوده هناك نقطة تحول في تاريخه وفي تاريخ بلاده، فسلطت عليه وسائل الإعلام المختلفة أضواءها، وكان يقضي

معظم وقته أمام عدسات التلفاز، أو محاوري الصحافة، فخلال ثلاثة أشهر قضاها في باريس أدلى بخمسمائة حديث لوسائل الإعلام، وفي أحد حواراته مع صحيفة «لوموند» الفرنسية تحدث باعتباره زعيمًا مصلحًا ورئيسَ دولة متوقعًا، فأعرب عن وجهة نظره في القضايا المطروحة على الساحة الإيرانية بمنظور عصري؛ وهو حديث يخرج عن نطاق الوعظ والإرشاد والنقد المبهم للفساد.

تمتع الخميني وأنصاره في باريس بحرية كبيرة، ويبدو أن فرنسا تصرفت بناء على وصية سفيرها في طهران، الذي قال: «إن الشاه قد انتهى، وإن صفحته قد طويت نهائيًا»، وأخذت المعارضة تلقي قيادها له، فأعلن مهدي بازركان –أحد قادة الجبهة الوطنية– أن أغلبية الشعب في إيران قد اختارت الخميني ليكون قائدًا لها.

وكانت أشرطة الخميني المسجلة تحرك الشارع ضد الشاه؛ ففي [ربيع أول ١٣٩٨هـ=فبراير ١٩٧٨م] خرجت المظاهرات من مساجد «تبريز»، ولم تستطع قوات الأمن السيطرة عليها، فخرجت فصائل من الجيش، وسيطرت على الموقف، وفُرض حصار بري وبحري على المدينة، وزادت حدة المظاهرات في رمضان، وأخذت تطالب بإغلاق المطاعم، والبنوك الربوية. وفي يوم الجمعة [٦ شوال ١٣٩٨هـ=٨ سبتمبر ١٩٧٨م[وقعت مصادمات بين الشرطة والمدنيين سقط خلالها أربعة آلاف قتيل، وسمي ذلك اليوم «الجمعة الدامي»، وأُعلنت الأحكام العرفية، وفُرض حظر التجول، إلا أن المتظاهرين تحدوا ذلك في مدينة قم، وخرجت المظاهرات وسقط أكثر من ألفي قتيل، وأعلن علماء الشيعة الحداد وامتنعوا عن الخطب، وفي هذا الجو المشحون بالمآسي أقام الشاه حفلات باذخة؛ فكانت سببًا في زيادة حدة الغضب الشعبي.

معًا ضد الشاه

تميز صيف عام ١٩٧٧ بارتفاع شديد في درجة الحرارة وكأن الطبيعة بدورها

تمهد للثورة. وكان النظام يستميت في إبداء ثباته، لكنه كان يتخبط. وارتفعت الأسعار وفرضت ضرائب وعم الفساد. ومنذ بداية ١٩٧٧ كانت نذر العاصفة تلوح في الأفق، وبعد فترة من الصمت بدأت مصادمات في الشوارع بين السافاك والمجاهدين، وتصدى البوليس لخلية كانت تضم ١٩ عضوًا من الرجال والنساء، وكان الرجال يقاتلون ويحوطون النساء داخل دائرة، وتبادلوا إطلاق النار، وتعمدت النساء الانتحار داخل الدائرة بقطع شرايين أيديهن. وكانت الحادثة من الوحشية بمكان وأدانتها حقوق الإنسان في هولندا.

ثم انضم المثقفون بكل ثقلهم لينقدوا بدورهم النظام، وتمخضت حركة المثقفين عن تكوين جمعية الدفاع عن حقوق الإنسان في إيران، وانتشرت الجمعيات الإسلامية وبدأت الإضرابات والمظاهرات، وأضربت كلية العلم والصناعة لمدة شهرين. وكانت كل هذه الأعمال تواجه بالقمع والعنف.

بدأت المظاهرات في الخارج وهي التي فضحت النظام، وأضربت الجمعيات الإسلامية في فرنسا عن الطعام.

وأثناء زيارة الشاه لأمريكا في نوفمبر كانت الجماعات الإسلامية قد أعدت للشاه استقبالًا حافلًا، وقبل وصوله بخمسة أيام بدأ إضراب عن الطعام لفت أنظار وسائل الإعلام الأمريكية، وتقاطر الطلاب الإيرانيون من كل الولايات أمام البيت الأبيض، وبمجرد دخول الشاه حديقة البيت الأبيض روعته مجموعة من الطلبة ملثمة بجوارب من النايلون، واضطرت الشرطة الأمريكية إلى إلقاء القنابل المسيلة للدموع. واشتعلت الصحف الأمريكية بهجمة على الشاه: «**المجنون الذي لم يعد أهلًا للثقة**».

تجلى وجه آخر للثورة الإيرانية فقد قام التجار بفتح حساب اكتتابي في أحد البنوك لصرف مرتبات الأساتذة عندما رفضت الحكومة صرف مرتبات الأساتذة

المعارضين. وحينها تراجعت الحكومة عن قرارها.

نبهت أحداث تبريز المسؤولين الإيرانيين الموالين للشاه إلى ضرورة البحث عن حلول للمشكلة المتفاقمة في إيران، ومن ثم بدأت وسائل الإعلام تجري نقدًا ذاتيًا لمؤسسات الدولة، ولنشاط حزب «**رستاخيز**» الحاكم، بغرض امتصاص الغضب الشعبي الذي شمل طهران وقم وتبريز، غير أن الشاه تمسك بموقفه الرافض للاعتراف بالمعارضة سواءً المعتدلة أو المتشددة، بل وصفهم بالقتلة الخارجين على النظام، وكان هذا الرفض القاطع منه بمثابة الضوء الأخضر للمعارضة لتتحد ضده، متناسية خلافاتها الجوهرية. كذلك رفض الشاه نصائح الجنرال «ناصر مقدم» مدير السافاك بأن يسمح بتكوين أحزاب، وبالعمل على إجراء انتخابات حرة، وتطهير أجهزة الدولة من الفساد.

دفع هذا التعنت السياسي للشاه إلى مطالبة جميع القوى الوطنية بإسقاطه، وشاركها في ذلك كبار التجار أصحاب البازارات (**الأسواق التجارية**) التي تضم (٢٥٠) ألف صاحب محل، وكان هؤلاء التجار يتمتعون بعلاقات متينة مع علماء الدين. والمعروف أن الأسواق كانت تغلق أبوابها في إيران عندما يثور التجار، وأن التجار كانوا يعتصمون في المساجد إذا أرادوا إعلان احتجاجهم في مواجهة السلطة، كما أن الشاه قام بسجن ثمانية آلاف تاجر من أصحاب المحال التجارية؛ لذلك ألقى البازار في إيران بثقله وقوته في كفة الخميني ضد الشاه.

وقد امتدت المظاهرات في إيران إلى أربعين مدينة، وقاطع الطلاب الدراسة، ورفض الخميني إجراء أي حوار سياسي مع الحكومة الإيرانية، فسقطت الحكومة، وكُلف رئيس الأركان «**غلام رضا أزهري**» بتشكيل حكومة جديدة، وتطرق بعض قادة الجيش في عروضهم لإنهاء المظاهرات، فاقترح الجنرال «**غلام أوفيسي**» حاكم طهران على الشاه تدمير مدينة قم، وتوقع أن يكون ضحايا هذا التدمير مليون قتيل،

فلم يوافق الشاه على هذا الاقتراح، فترك أوفيسي البلاد.

تدبير الحوادث

قام النظام بتدبير حادثة حرق السينما لتشويه الحركة الشعبية، وكانت النتيجة احتراق أكثر من خمسمائة رجل وامرأة وطفل. وتلكأت الشرطة في عملية الإنقاذ لتزيد من الكارثة، وبعد عدة أيام من الحادث هاجم الناس قسم الشرطة بالفؤوس والمدى مطالبين برأس مدير الشرطة. وكان قد استدعي إلى طهران بعد الحادثة. وقد أدت هذه العملية إلى إفاقة عدد كبير من الذين كانوا مشغولين بحياتهم اليومية.

بعد يوم الجمعة الأسود أراد الخميني أن يزيل هيبة النظام تمامًا أمام العالم كله. فدعا إلى الإضرابات حتى وصلت إلى معامل التكرير، فلم يكن تأثيرها محليًا فقط، بل طالت كل بيت في أوروبا الغربية وأمريكا وإسرائيل. فالبترول عصب الحياة.

وكان الخميني يدعو إلى المواجهة بقوة ولكن مع ضبط النفس والصبر لتجنب حرب أهلية. وكلما قام النظام بافتعال حريق ظنًا منه أن الجماهير ستسلب وتنهب ليشوه صورة المعارضة، فإذا به يجد الجماهير تستجيب للخميني وتهرع لإطفاء الحرائق دون سلب أو نهب. وقد بلغت قوة الخميني وتأثيره أن صرح لمراسل النيوزويك: «**إن جماهير إيران تكتفي بالمظاهرات حتى الآن، لكنها سوف تلجأ إلى وسيلة أشد عنفًا إذا استدعى الأمر، وأنه قادر على سحق النظام وهو في منفاه**».

عمت الإضرابات، فكل يوم تعلن شركة في القطاع الخاص أنها ستغلق، وأضرب الفلاحون عن العمل في أراضي الدولة. وأضرب عمال الكهرباء مؤقتًا لمدة ساعتين يوميًا وهو الوقت الذي تبث فيه نشرة الأخبار. فمنعوا إعلام الشاه من دخول البيوت. وامتنعت الصحف فكان امتناعها ترويجًا للثورة. وبذلك نالت الإضرابات من البنية المالية والاقتصادية لنظام الشاه. وأصدر الشاه خطابه الملتهب: «**إن كل ساعة من إضرابكم خدمة لله ولدولة الإسلام**».

وقد فجر الشاه المفاجأة حينما أمر رجال الدين أن يعينوا الفقراء في هذه الإضرابات لأنهم من أوائل المتضررين، فصرف لهم من الأموال الدينية «**سهم الإمام**». وهذا يفسر صمود الشعب في إضرابه طوال الأسابيع والشهور. وقام التجار أيضًا بواجبهم في دعم الفقراء على خير وجه.

وفي ٢٥ نوفمبر أصدر موظفو البنك المركزي قائمة بأسماء الذين قاموا بتهريب أموالهم للخارج من النظام.

وبحلول المحرم «**الخروج يوم عاشوراء ذكرى استشهاد الحسين**» كانت المواجهة النهائية بين الثورة والنظام. فما إن حلت أول ليلة من المحرم حتى ضجت أسطح المنازل بالهتاف «**الله أكبر**». كل فرد إيراني جمع أسرته وصعد سطح المنزل ليرى الهلال ويكبر. إنه شهر الشهادة والحرية. وبدأ الإلهاب العاطفي الثوري الديني مرة أخرى. فمن يستشهد في المحرم سيحشر مع الحسين وشهداء آل البيت. وصرخ الخميني: «**إن شهر المحرم هو سيف الله البتار قد وضع في أيدي أتباع الإمام الحسين، وسوف يضرب كما ينبغي بعونه....**»

واستمرت المظاهرات وامتلأت الأرض بالدماء، وانقلبت مسيرات التاسع والعاشر من محرم من مظاهر عزاء على آل البيت إلى استفتاء حقيقي يدين النظام ويخلع الشاه ويؤكد زعامة الخميني ويبايعه.

الخميني والجيش

كان الخميني يدرك أثر الإعلام (**رسائله الصوتية**) في إشعال الثورة الإيرانية، ولم تكن السافاك تقلقه رغم قوتها وبشاعة أساليبها؛ لأنه يعلم أن (٥٠) ألف عميل من السافاك لن يستطيعوا مواجهة (٣٥) مليون ثائر، وخلص إلى أن المشكلة الرئيسة التي تعترض نجاح الثورة وإسقاط الشاه هي الجيش، الذي تزيد قواته عن نصف مليون جندي ذوي تسليح جيد وتدريب راقٍ، لذا رأى أنه من الضروري

تحييد الجيش في الصراع بين الشعب والشاه، وضرورة تحطيم الروابط القوية بين الجيش والشاه، فخصص جزءًا كبيرًا من إعلامه له، تضمن ألا يخدم الجيش الشاه لأنه طاغوت، في حين أنهم جنود الله المستضعفون، ودعاهم ألا يطلقوا النار على إخوانهم المسلمين؛ لأن كل رصاصة تصيب قلب مسلم تصيب قلب القرآن، ونصحهم بأن يعودوا إلى قراهم ومدنهم وأن يعودوا إلى الله.

وكان لنداءاته أثرها في الجيش؛ فبدأت التقارير تسجل حالات هروب من الخدمة، عندها كثف إعلامه الموجه للجيش، وطلب من الفارين أن يأخذوا أسلحتهم معهم أثناء الهرب لأنها أسلحة الله، فقامت كتيبة كاملة مضادة للطائرات من (٥٠٠) جندي تعسكر قرب مشهد بالهروب بكامل أسلحتها، فأدى ذلك إلى اتساع نطاق الاضطرابات ولم تستطع الشرطة والسافاك مواجهتها.

وطلب الخميني من الشعب الثائر ألا يصطدم بالجيش تحت أي ظرف، وأعلن صيحته المشهورة: «لا تهاجموا الجيش في صدره؛ ولكن هاجموه في قلبه»، «**إذا صدرت إليهم الأوامر بإطلاق النار عليكم، فلتعروا صدوركم، فدماؤكم والحب الذي ستظهرونه لهم وأنتم تسلمون الروح لبارئها سوف يقنعهم؛ فدماء كل شهيد هي ناقوس خطر يوقظ آلافًا من الأحياء**».. وكان المتظاهرون يهتفون «**أيها الجندي...أنت أخي لا تقتلني**».

استخدم الخميني كلمات وتعابير تثير الوجدان وتهز الأعماق، وأدرك نقاط الضعف في الجيش، واستطاع أن يفصل بين الجنود البسطاء والضباط، وبذلك تمكن من نزع سلاح الجيش، بل نزع الجيش من يد الشاه قبل قيام الثورة.

كان العنف الزائد من النظام يقابل بالإضراب السلمي من الشعب، واستمرت الإضرابات أربعة شهور شلت النظام. وأراد الشاه أن يلجأ إلى الطيران وفوجيء بإضراب القوات الجوية وانضمامها إلى الثورة.

العودة منتصرًا

رفض الخميني أية حلول وسط مع حكومة «شاهبور بختيار» الجديدة، ورفع شعار «لا» ليكون شعار الثورة، واستمرت الاضطرابات والمظاهرات العارمة التي قضت على قدرة بختيار على التأثير في الأحداث، وأعلن الخميني أنه سيرفض أية حكومة طالما بقي الشاه، وأنه لن يقبل إلا سقوط نظام الشاه وإقامة جمهورية إسلامية، وأمام ذلك غادر الشاه إيران في [٧ صفر ١٣٩٩هـ=١٦ يناير ١٩٧٩م] إلى القاهرة بعدما استولى هو وأسرته على مئات الملايين من الدولارات من البنوك.

وفي [٤ ربيع الأول ١٣٩٩هـ=١ فبراير ١٩٧٩م] وصل الخميني إلى طهران، وكان في استقباله في المطار ستة ملايين شخص، وأحاطت هذه الجموع بالرجل ذي الثمانين عامًا، وكاد الحب يقتله، فاستقل طائرة هليكوبتر ليكمل رحلته فوق رؤوس البشر الذين احتشدوا لاستقباله. ومع قدومه ذابت الدولة وسلطتها وحكومتها أمام شخصيته، وانضمت بعض وحدات الجيش إلى المتظاهرين، وأعلن عدم شرعية حكومة شاهبور بختيار، وعين «مهدي بازركان» رئيسًا للوزراء، فأعلن بختيار الحكم العسكري، فرد عليه الخميني بإعلان العصيان المدني، وكتب ورقة نُقلت صورتها على شاشة التلفاز الذي استولى عليه أنصاره، فيها: «تحدوا حظر التجول» فتدفق الشعب إلى الشارع، وتصاعدت حدة المواجهات، واستولى المتظاهرون على كميات كبيرة من أسلحة الجيش، فجاء القائد الأعلى للقوات المسلحة الجنرال قرباغي إلى الخميني وأعلن استسلامه وحياد الجيش في المواجهات التي تحدث في المدن بين مؤيدي النظامين، وعادت القوات العسكرية إلى مواقعها، وأعلن الخميني قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بعدما استمرت الثورة عامًا كاملًا سقط خلاله أكثر من (٧٦) ألف قتيل، وفر شاهبور بختيار إلى خارج إيران.[١]

---

(١) لقراءة المزيد عن الثورة الإيرانية يمكن الرجوع إلى: د. إبراهيم الدسوقي شتا، الثورة الإيرانية.. الصراع.. الملحمة.. النصر ١/ ٢، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

الثورة الفلبينية

تعد الثورة الفلبينية في فبراير ١٩٨٦ أحد النماذج المثالية للثورة الوطنية اللاعنيفة في الربع الأخير من القرن العشرين. فقد نجحت المقاومة الوطنية في الإطاحة بالديكتاتور فرديناند ماركوس.

لقد تولى ماركوس الحكم في عام ١٩٦٥. وفي سبتمبر من عام ١٩٧٢ أعلن فرض قانون الطوارئ وألغي منصب نائب الرئيس كما ألغي انتخابات ١٩٧٣، وذلك كرد فعل لحركة المعارضة،. وفي نفس العام اعتقل ماركوس زعيم المعارضة بينيجنو أكينو، وأصدر عليه حكمًا بالإعدام بدون محاكمة، إلا أنه ظل معتقلًا ولم ينفذ فيه حكم الإعدام. وفي عام ١٩٨٠ سمح ماركوس لأكينو بالذهاب للولايات المتحدة حيث مكث هناك حتى عام ١٩٨٣.

وفي ٢١ أغسطس عام ١٩٨٣ عاد أكينو إلى الفلبين مرةً أخرى ليقود المعارضة ضد ماركوس، إلا أنه اغتيل في مطار روما لدى نزوله من الطائرة.

وطوال فترة قانون الطوارئ اندلعت احتجاجات متفرقة بسبب قضايا ومواقف متفرقة، إلا أن اغتيال أكينو كان بمثابة الشرارة التي أشعلت الاحتجاجات واسعة النطاق. حيث شارك في تشييع جنازة أكينو ما يتراوح بين أربعة وستة ملايين مواطن فلبيني، وتعددت حركات الاحتجاج بشكل مستمر في الفترة من عام ١٩٨٣ وحتى عام ١٩٨٥، فقد اتخذ الجمهور من بعض الأحداث المفصلية مناسبات وطنية، فكانت المظاهرات العارمة تخرج في تلك المناسبات: مثل بداية فرض قانون الطوارئ في ٢١ سبتمبر، وعيد ميلاد أكينو في ٢٧ نوفمبر،

واغتياله في ٢١ أغسطس.

وفي ٢٣ سبتمبر عام ١٩٨٥ نظم الفلبينيون في مدينة بوتون وعديد من المدن الأخرى إضرابًا شاملًا لمدة يومين احتجاجًا على نظام ماركوس.

ومن المشروعات النوعية التي تميزت بها تلك الفترة قيام جين وهيلد جارد جوس ماير وريتشارد ديتس من الجمعية الدولية للتصالح بتنظيم العديد من الدورات التدريبية للنشطاء السياسيين الفلبينيين على أسلوب المقاومة الوطنية اللاعنيفة، ومن هذه الحلقات الدراسية تشكلت منظمة اللاعنف (أكابكا)، وقد أثرت هذه التدريبات على أسلوب اللاعنف على الأحداث التي حدثت لاحقًا عام ١٩٨٦.

وتحت الضغط المحلي والدولي، أعلن ماركوس في أواخر عام ١٩٨٥ عن إجراء انتخابات مفاجئة في ٧ فبراير عام ١٩٨٦، واختار قادة المعارضة كورازون أكينو مرشحة للرئاسة وسلفادور لوريل مرشحًا لمنصب نائب الرئيس. وكانت الشكوك تحيط بنزاهة الانتخابات منذ البداية على الرغم من سماح ماركوس لمتطوعين من النامفريل ولمراقبين أمريكيين بمراقبة الأحداث. وفي يوم الانتخابات شكل عمال النامفريل المدرَّبين على أسلوب اللاعنف حواجز بشرية للحيلولة دون محاولات سرقة صناديق الأصوات، كما نظمت أكابكا تجمعات للصلاة والتدريب على أسلوب اللاعنف. وفي ٩ فبراير أعلن ثمانية وثلاثون من عمال الكمبيوتر احتجاجهم على تعمد إذاعة نتائج خاطئة تشير إلى تقدم ماركوس، وأعلنت الجمعية الوطنية الفلبينية فوز ماركوس، الأمر الذي عارضته عديد من المؤسسات والأفراد. وأعلن كل من ماركوس وأكينو فوزه بالرئاسة، ومن هنا بدأت الثورة.

ولعبت الكنيسة الكاثوليكية دورًا أساسيًا في الثورة، ففي ١٣ فبراير أعلن الأساقفة الكاثوليك أن الانتخابات مزورة ودعوا إلى شن كفاح لا عنيف من أجل

العدالة. وأعلن الكاردينال سين كبير أساقفة مانيلا أنه يعتبر نفسه قائدًا للقوات الفلبينية غير المسلحة. وفي ٢٢ فبراير أعلن وزير الدفاع جوان بونس أزيل ونائب رئيس الأركان منديل راموس تمردهما واعتصما داخل وزارة الدفاع. وطلب أجابينو - شقيق بينيجنو أكينو - والكاردينال سين من مواطني مانيلا إرسال الطعام لقوات التمرد والخروج إلى الشوارع لقطع الطريق على تحرك القوات المعادية، وكان هذا هو بداية الثورة الشعبية.

لقد تدفق الآلاف إلى ميدان ابيفانيو دي لوس سانتوس، وأحضروا الطعام والمشروبات وأجهزة الراديو للمتمردين، واتخذ التجمع مظهرًا احتفاليًا، حيث رفرفت الأعلام وراح الحشد يغني النشيد الوطني الفلبيني الشهير«بايان كو».

وفجر يوم الأحد ٢٣ فبراير توجهت قوة عسكرية معززة بالدبابات والعربات المدرعة نحو معسكر المتمردين، إلا أن الآلاف من المتظاهرين سدوا أمامها الطريق وأجبروها على التوقف على بعد ميل، وهدد قائد القوة ارتيميو ناديار بإطلاق الرصاص إذا لم يخل المتظاهرون الطريق، إلا أن الحاجز البشري الضخم ظل في مكانه واضطرت القوة في النهاية إلى الانسحاب دون إطلاق النار، وقدم المتظاهرون الطعام والشراب لجنود القوة، وأعطاهم البعض الزهور أيضًا. وفي صباح الإثنين، وبينما كان ماركوس يوجه خطابًا عبر التلفزيون الحكومي استولى المتمردون على محطة التلفزيون وأوقفوا إذاعة الخطاب.

وخلال الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ فبراير أعلنت عديد من الوحدات العسكرية تمردها، وقاد رودلفو بيازون قائد إحدى الفرق العسكرية قوة من ستمائة جندي للانضمام إلى راموس وأزيل. وصدرت الأوامر لإحدى فرق مكافحة الشغب للهجوم على معسكر المتمردين في فجر يوم الإثنين، إلا أنها أعلنت تمردها أيضًا. وفي نهاية تلك الفترة، كان ما يقرب من ٨٠٪ من القوات المسلحة قد أعلنت تمردها.

وفي صباح الثلاثاء ٢٥ فبراير أدت أكينو قسم تنصيبها رئيسًا للفلبين وسلفادور نائبًا لها بشكل رمزي. وفي نفس الوقت، كان ماركوس يؤدي قسم الرئاسة في احتفال مراسمي ضخم ولكن بدون أي دعم شعبي يذكر.

وبناء على نصيحة الولايات المتحدة هرب ماركوس إلى قاعدة كلارك الجوية الأمريكية في الفلبين في تلك الليلة. وهكذا منحت الأغلبية الواسعة ولاءها للرئيسة أكينو أكثر من ماركوس، وكان انتقال الولاء من مصدر سلطة وشرعية إلى آخر هو المفتاح الأساسي لنجاح تلك الانتفاضة السلمية. وهكذا تمت الإطاحة بالديكتاتور ونجحت الثورة الشعبية بالوسائل اللاعنيفة.

التجربة الفرنسية في الجزائر

كان ديغول يعلم أن جنرالات الجيش لا يريدون الانسحاب من الجزائر، لذلك تحدث عن السفينة وهي فرنسا، وعن الجبل الجليدي وهو الجيش باعتبار المواجهة بينهما على وشك الحدوث. وبالفعل كان أن تعرض ديغول لأربع محاولات اغتيال من قبل المستوطنين الفرنسيين أثناء زيارة قام بها للجزائر في أعقاب صدور قرار الانسحاب، ناهيك عن قيام هؤلاء بأعمال عنف واضطرابات عنيفة، حتى أن الاستفتاء العام الذي هدف لقياس مدى تأييد الرأي العام الفرنسي لخطة الانسحاب والذي بين وجود ٧٢٪ من الفرنسيين المؤيدين لخطة الانسحاب لم يُثنِ المستوطنين وضباط الجيش عن مواقفهم المعارضة، حتى أن الضباط الفرنسيين استمروا في توجيه الضربات إلى جيش التحرير الجزائري، إلى أن صدر قرار الانسحاب، وتم إجلاء هؤلاء الضباط الذين قاموا في أبريل ١٩٦١ – كرد فعل على قرارات ديغول - بقيادة انقلاب عسكري هدفه الإطاحة بديغول وإقامة حكم جديد في فرنسا يكون ملتزمًا بمواصلة السيطرة الفرنسية على الجزائر. وهكذا قامت المواجهة بين فرنسا والجيش، وفي الثالث والعشرين من أبريل ١٩٦١ وجه ديغول دعوة للجنود مفادها عدم الانصياع لأوامر الجنرالات الذين كانوا من بين مؤسسي التنظيم السري في صفوف المستوطنين والمسمى اختصارًا بـ (OAS) والذي كان يسعى لوقف الانسحاب من الجزائر، كما أعلن ديغول حالة الطوارئ والتي تمتع على إثرها بصلاحيات شبه ديكتاتورية، وبعد مرور شهر على فشل مؤامرة الانقلاب بدأت مفاوضات السلام بين فرنسا وحركة التحرير الوطني الجزائري، في حين استمر الجيش السري الفرنسي في القيام بعملياته الإرهابية المدعومة من المستوطنين، مما جعل الحكومة تصدر أحكامًا بالسجن على حوالي خمسة عشر جنرالًا وأكثر من مائتي ضابط بالإضافة إلى عدد من أحكام الإعدام الغيابية.

تجربة جنوب إفريقيا

اتبعت حركة مناهضة سياسات التمييز العنصري في جنوب أفريقيا طوال الخمسينيات عديدًا من أساليب الكفاح الوطني. ففي عام ١٩٥٢ أعلن المؤتمر الإفريقي عن شن (حملة تحدي) نظم خلالها عددًا من هذه الأساليب طوال حقبة الخمسينيات. وقد تضمنت هذه الحملة حملة لمقاومة سياسة التمييز العنصري في مجال التعليم في الفترة من ١٩٥٣ ـ ١٩٥٥، وحركة مقاطعة الحافلات في الفترة من عام ١٩٥٥ وحتى عام ١٩٥٩ احتجاجًا على انخفاض الأجور، وقد أحرزت حركات مقاطعة الحافلات في مقاطعات ايفاتون والكسندرا وجوهانسبرغ نجاحًا شجع مواطني جنوب إفريقيا على الاستمرار في الاحتجاجات الوطنية.

وقد حدثت أول مقاطعة للحافلات في بلدة ايفاتون في عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦، ففي خلال تلك الفترة احتج آلاف العمال السود على رفع سعر تذاكر ركوب الحافلات، وقاطع هؤلاء العمال الحافلات، وكانوا يذهبون إلى مواقع عملهم ويعودون كل يوم مشيًا على الأقدام، وقد تعرض هؤلاء لصنوف عديدة من العنف، مثل المضايقات المستمرة والاعتقالات والضرب من جانب مؤيدي النظام العنصري. وانتهت المقاطعة في أغسطس ١٩٥٦ بعد أكثر من عام، بعد أن أحرز العمال نجاحًا ساحقًا تمثل في عودة السعر القديم للتذاكر، ووضع جدول جديد لمواعيد الحافلات، وموافقة شركة الحافلات على توظيف عمال ايفاتون.

وقد شجع هذا النجاح الأفارقة في جوهانسبرغ على تنظيم حركة مقاطعة مماثلة. ففي ديسمبر من عام ١٩٥٦ أقدمت شركة بيتلكو التي تدير حركة الحافلات من وإلى مصانع جوهانسبرغ على رفع سعر تذاكر الركوب، وعلى الفور قرر العمال

من بلدة الكسندرا على بعد تسعة أميال من جوهانسبرغ مقاطعة الحافلات احتجاجًا على الأسعار الجديدة. ونظم هؤلاء العمال لجنة شعبية للنقل قررت الدعوة للمقاطعة في ٧ كانون الثاني ١٩٥٧. وسرعان ما انضم عمال آخرون من جوهانسبرغ وبريتوريا والمناطق المحيطة للحركة. وشارك في الحركة ما يقرب من ستين ألف عامل كانوا يذهبون لمواقع عملهم مشيًا على الأقدام. وقررت الشركة بعد أيام من تسيير الحافلات فارغة وقف كل خدماتها.

وبعد عدة أسابيع تصاعد التأييد الذي تحظى به حركة المقاطعة، وامتدت الاحتجاجات والمقاطعات إلى بورت إليزابيث وإيست لندن ويوتينهاج وغيرها من المدن. وأبدى بعض البيض تعاطفًا مع العمال وكانوا يصحبوهم في سياراتهم على الرغم من تهديدات الشرطة التي كانت توقف السيارات وتفتشها وتسجل أسماء السائقين.

وكان العمال أنفسهم يفرضون رقابة صارمة لضمان الالتزام بتنفيذ المقاطعة، فكانوا يوقفون العمال المتوجهين لأعمالهم بالدراجات ويفرغون إطاراتها. وكانت الشرطة تشن حملات دائمة على الفنادق الصغيرة في جوهانسبرغ لإلقاء القبض على العمال الذين يبيتون مع أصدقائهم لتفادي الذهاب إلى منازلهم كل يوم مشيًا على الأقدام. وقد ألقي القبض على ما يقرب من ١٤ ألف عامل خلال فترة المقاطعة.

وبدأ القلق ينتاب أصحاب العمل أنفسهم من جراء الإنهاك الجسدي للعمال بسبب اضطرارهم للمشي لمسافات طويلة. وبدأ ممثلون عن أصحاب العمل والحكومة يبحثون عن تسوية للموضوع مع قادة المقاطعة. وقامت غرفة تجارة جوهانسبرغ بدعم الحافلات ماليًا حتى يتم التوصل إلى تسوية. وأخيرًا انتهت المقاطعة في ١٥ نيسان ١٩٥٧ بعد أن أحرز العمال نجاحًا تامًا. فقد تم إلغاء الزيادة في أسعار الركوب والعودة للأسعار القديمة. وفي وقت لاحق تمت مضاعفة ضريبة

خدمات النقل المفروضة على أصحاب العمل لدعم وسائل النقل.

وقد ساهمت حركة مقاطعة الحافلات الناجحة في جوهانسبرغ في خلق مناخ من المقاومة الوطنية، وبرز قادة أكفاء من خلال هذه المقاومة. وبالرغم من عدم مشاركة المؤتمر الوطني الأفريقي في حركة مقاطعة الحافلات، إلا أنه دعا على أثر نجاحها إلى مقاطعة الشركات القومية ومنتجاتها. وشهدت أواخر الخمسينيات عديدًا من الأنشطة والحركات الأخرى نتاجًا لما أفضت إليه حركة مقاطعة الحافلات من إحساس الأفارقة بمزيد من الثقة بقوتهم وبفاعلية الكفاح الوطني.[1]

(1) Peter Ackerman and Jack DuVall, A Force More Powerful: A Century of Nonviolent Conflict, (St. Martin's Press, 2000).

التجربة الألمانية
في مواجهة الانقلاب العسكري

تمكنت الجماهير الألمانية من دحر الانقلاب اليميني المسلح ضد حكومة «فايمار» باستخدام حرب اللاعنف، وهي الحرب التي انطلقت بدعم من الحكومة الشرعية التي غادرات برلين عقب الانقلاب. وبالرغم من أن هذه الأحداث حدثت دون إعداد أو تدريب محكم إلا أنها لفتت الأنظار. فلقد كان الانقلاب ذاته غير محكم كما كانت المقاومة اللاعنيفة ارتجالية غير مدروسة.

لقد واجهت حكومة «فايمار» صعوبات عديدة أغلبها متعلق بخسارة ألمانيا للحرب العالمية الأولى، مثل الاضطراب الاقتصادي والتخبط العسكري وظهور العديد من المحاولات للثورة على الحكومة. وفي ظل هذه الأوضاع تم التخطيط للانقلاب العسكري من قبل الجناح اليميني. وقد خطط لهذا الانقلاب الدكتور «فولفجانج كاب» ومجموعة من الجنرالات وضباط الجيش.

وفي العاشر من مارس عام ١٩٢٠ تقدم الجنرال «ليوتفيتز» بإنذار للرئيس «فريدريك إيبرت»، إلا أن الحكومة رفضت هذا الإنذار وأصبح من الواضح أن البلاد على حافة محاولة انقلابية، وفي هذه الأثناء حذر وزير الدفاع «جوستاف نوسكي» الجنرال «ليوتفيتز» من أن الحكومة ستلجأ إلى الإعلان عن الإضراب العام في حالة عصيان الأوامر أو القيام بتحريك القوات العسكرية.

وعقب الاجتماع مع مجموعة من الجنرالات أصبح واضحًا أنهم لا يريدون استخدام القوة العسكرية لمواجهة الانقلاب المسلح، وأنهم لا يريدون الدفاع عن الجمهورية.

وفي الثاني عشر من مارس بدأ أنصار «كاب» مسيرتهم من برلين على الرغم من ضعف استعدادهم، وانضم ضباط الشرطة إليهم. وغادرت حكومة «إيبرت» برلين لتقع في قبضة الانقلابيين دون مقاومة في الثالث عشر من مارس، الذين أعلنوا عن تشكيل حكومة جديدة. ورغم ذلك فقد رفضت جميع المقاطعات والمدن الألمانية إعلان الولاء أو التعاون مع الحكومة الانقلابية الجديدة، وظلت على ولائها وتعاونها مع الحكومة الشرعية التي اتخذت من شتوتجارت مقرًا لها.

وفي الرابع عشر من مارس احتلت القوات العسكرية مكاتب جريدتين مؤيدتين للحكومة الشرعية، مما أدى إلى إضراب عام على مستوى عمال المطابع، كما انضم آلاف العمال إلى هذا الإضراب بشكل تلقائي.

وفي نفس اليوم نادى أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الاجتماعي الديمقراطي وأعضاء مجلس وزراء الحكومة الشرعية الجماهير للانخراط في الإضراب العام ضد حكومة «كاب» الانقلابية، وهو الإضراب الذي دعمه عمال جميع الأحزاب والهيئات السياسية والدينية، وانضم موظفو الحكومة والمواطنون المدنيون العاديون إلى هذا الإضراب، الذي أدى إلى شلل تام بالبلاد وافتقار حكومة «كاب» إلى الأموال وإصابتها بمجاعة سياسية واقتصادية.

وفي الخامس عشر من مارس رفضت الحكومة الشرعية الاقتراح الذي قدمته حكومة «كاب» الانقلابية المطالبين فيه بالتسوية والوصول إلى حل وسط، وفي هذا اليوم ملأت برلين منشورات تحمل عنوان «انهيار الديكتاتورية العسكرية»، وقد استمر الإضراب في التوسع على الرغم من حالات القتل التي تعرض لها مؤيدو الحكومة الشرعية.

وفي نفس اليوم استقال «كاب» من منصبه وغادر إلى السويد تاركًا الجنرال «ليوفيتز» كقائد أعلى للقوات المسلحة، وحدثت مصادمات دامية في العديد من المدن،

وفي مساء ذلك اليوم غادر أغلب المتآمرين برلين في ملابس مدنية، كما استقال الجنرال «ليوفيتز» من منصبه الجديد. وهكذا أدى الإضراب العام إلى إسقاط الانقلاب العسكري في أربعة أيام فقط.[١]

* **

(١) لقراءة المزيد يمكن الرجوع إلى:

- Wilfred Harris Crook, The General Strike, pp. 496-527.
- Goodspeed, The Conspirators, pp. 108-143.
- Halperin, Germany Tried Democracy, pp. 168-188.
- Eyke, A History of The Weimar Republic, vol. 1, pp. 129-160.

التجربة النرويجية

في عام ١٩٤٠ احتل النازيون النرويج. وبالرغم من أنها كانت محايدة في الحرب العالمية إلا أن ذلك لم يشفع لها. وبمجرد دخول قوات الاحتلال النازية إلى النرويج وسقوط الحكومة، هرب الملك إلى لندن، حيث أقام حكومة في المنفى. وكان أن قررت الحكومة والشعب المقاومة.

وخلال فترة الاحتلال النازي في الفترة ما بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤٥ مارس النرويجيون العديد من تجارب المقاومة الناجحة.. وكان سر قوتهم في اختيار أساليب المقاومة، حين أعلن جوزيف بتربوفين القائد الألماني في النرويج في ٢٥ أيلول ١٩٤٠ حل جميع الأحزاب السياسية، وأنشأ مجلسًا للمستشارين ليحل محل البرلمان النرويجي..

وقد نتج عن هذا الإعلان اندلاع العديد من المظاهرات والاحتجاجات الرمزية، التي تضمنت على سبيل المثال:

- إضراب الرياضيين وتوقفهم عن اللعب.
- استقالة المحكمة النرويجية العليا.
- رفع شعارات مميزة تعبيرًا لرفض الاحتلال.
- في ١٩٤١ أرسل ممثلون لثلاث وأربعين منظمة تضم سبعمائة وخمسين ألف عضو خطابًا احتجاجيًا للحاكم النازي.
- حين حل هذا الحاكم تلك الجمعيات، انتقلت الجمعيات إلى الطور السري.

ـ كان أهم مواقف المعارضة النرويجية (حركة المعلمين) النرويجيين.

فقد أصدر النازيون أمرًا للمعلمين بأن يوقعوا على إعلان يشيد بالحزب النازي، فأصدر المدرسون بيانًا معاكسًا يرفضون فيه التوقيع والإذعان.

ـ وشهدت المدارس إضرابات عديدة.

ـ ورفضت الهيئات التعليمية التعاون مع المحتل.

وحين كثف النازيون حملتهم للسيطرة على المدرسين؛ أعدت منظمة المدرسين السرية قائمة من أربع نقاط تضمنت:

ـ رفض الانضمام للحزب النازي.

ـ مقاومة الدعاية النازية في المدارس.

ـ رفض كل التعليمات الصادرة عن جهات غير مختصة.

ـ رفض التعاون بأي شكل من الأشكال مع منظمة الشباب الفاشية.

وفي شباط من عام ١٩٤٢ أصدر القائد الجديد لقوات الاحتلال (فيدكون كوسيلنج) قوانين تتضمن اعتبار كل المدرسين تلقائيًا أعضاء في (اتحاد المدرسين) الذي تم إنشاؤه، وأن كل الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة يعتبرون أعضاء في جبهة الشباب المسماة (ناشيونال ساملنج).

وعلى الفور قام قادة المقاومة من المدرسين بتوجيه خطابات فردية لكل مدرس طالبوه بإعلان رفضه لهذه القرارات. ومن بين اثني عشر ألف مدرس استجاب لدعوة المقاومة ما يقرب من عشرة آلاف.

وأرسل أكثر من مائتي ألف من أولياء الأمور خطابات احتجاجية لوزارة التعليم يحتجون على تنظيم أولادهم في هذه المنظمات.

في ٢٠ آذار ١٩٤٢ قام قائد قوات الاحتلال باعتقال حوالي ألف مدرس تم احتجازهم في سجون محلية. ثم أرسلوا إلى معسكر الاعتقال القطبي في كيركينيس.

وقد بذل النازيون جهودًا كبيرة لإجبار المدرسين المعتقلين على سحب احتجاجاتهم والانخراط في الاتحاد الجديد. ورغم أشكال التعذيب النازي القاسية فقد رفض معظم المدرسين الانضمام إلى طلب المحتل.

في أول نيسان أعلن المدرسون القائمون على رأس عملهم أنهم ملتزمون بالقيام بواجبهم في تدريس الطلاب، ويرفضون الخضوع لأوامر النازية.

أمام صمود حركة المدرسين أعلن الحاكم النازي هزيمته قائلًا: «**دمر المدرسون ما كنت أحاول فعله**».[١]

(١) لقراءة المزيد يمكن الرجوع إلى:

- Magne Skodvin, "Norwegian Nonviolent Resistance During the German Occupation," in Roberts, ed., Civilian Resistance as a National Defense, pp., 136-153; Br. Ed.: The Strategy of Civilian Defense, pp. 136-153.
- Tyranny Could Not Quell Them (pamphlet) (London: Peace News, 1958 and Later edition).
- Magnus Jensen, "Kampen om Skolen," in Sverre Steen, general editor, Norges Krig (Oslo: Gyldendal Norsk Forlag, 1947-50), vol, III, pp. 73-105, and Sverre S. Amundsen, gen. Ed., Kirkenes Ferds, 1942 (Oslo: J.W. Cappelens Forlag, 1946).

التجربة التشيكية

أصيب الشعب التشيكوسلوفاكي في الحادي والعشرين من أغسطس عام ١٩٦٨ بصدمة عندما اقتحمت الدبابات الروسية تحت قيادة حلف وارسو شوارع العاصمة براغ، معلنة شعار القمع والقتل لكل من يريد التغيير. وجاء هذا التدخل إثر إعلان مجموعة أطلقت على نفسها اسم «مؤسسو ميثاق ٧٧» أو «حركة ربيع براغ الإصلاحية من أجل التغيير». وقام بالتوقيع على هذا الميثاق - في ٧/ ١/ ١٩٦٧ - حوالي ٢٥٠ شخصًا، وهم مزيج من الكتاب والمثقفين والأدباء بالإضافة إلى الشيوعيين الإصلاحيين الذين أجمعوا على مطالبة الحزب الشيوعي باحترام حقوق الإنسان والديمقراطية والتعددية السياسية وإعطاء الحريات، بما يتماشى مع دستور وقوانين الدولة الشيوعية ذاتها والتزاماتها الدولية التي قام بالتوقيع عليها النظام الشيوعي نفسه وبمحض إرادته.

أمر الرئيس التشيكوسلوفاكي بعدم المقاومة المسلحة إلا أن الشباب رشقوا الدبابات بأسمال بالية محترقة وأعاقوا حركتها بأجسادهم وتوسلوا للجنود الروس المرتبكين أن يضعوا أسلحتهم وينضموا للتجربة التشيكية.

بنهاية اليوم الأول لقي ٢٣ مدنيًا مصرعهم، وقد صور التليفزيون التشيكي الطلبة العزل وهم يواجهون الدبابات السوفيتية، وتم تهريب الفيلم وبثه في أنحاء العالم.

***

التجربة البولندية

اختارت حركة التضامن في بولندا الأساليب اللاعنفية في شكل الإضرابات والمظاهرات وعدم التعاون والأعمال الرمزية لمقاومة العناصر الشمولية في النظام البولندي. وتُعتبر حركة التضامن أكثر أشكال المقاومة -التي شُنت ضد نظام شيوعي- فعالية على الإطلاق.

وبالرغم من أن الإضرابات الكبرى التي قادت إلى تشكيل (التضامن) حدثت في صيف عام ١٩٨٠؛ إلا أن هناك سوابق تاريخية مهدت لقيامها. ففي عقود ما بعد الحرب الثانية أعلن العمال البولنديون معارضتهم في شكل إضرابات ومقاطعات للعديد من سياسات الحكومة البولندية. وفي هذا الإطار حدثت إضرابات كبرى في يونيو ١٩٥٦ وفي ديسمبر ١٩٧٠ وفي يونيو ١٩٧٦. وقامت القوات الحكومية بسحق كل هذه الإضرابات. وفي سبتمبر ١٩٧٦ نشأت لجنة الدفاع العمالية لمساعدة العمال المعتقلين في إضرابات ذلك العام. وكان قيام هذه اللجنة بمثابة خطوة أساسية قادت إلى تشكيل «تضامن»، وقد تولت تدعيم اللجان العمالية، وقدمت النصائح للتضامن – فيما بعد - بخصوص استراتيجيتها التنظيمية. وإحدى الخطوات المهمة الأخرى التي قادت لقيام التضامن تمثلت في قيام لجنة النقابات العمالية الحرة في الساحل التي نشأت في (جدانسك) في ٣٠ إبريل ١٩٧٨. وساهمت كلتا المنظمتين في تشكيل الخلايا الأولى لحركة التضامن.

وفي يوليو ١٩٨٠، أعلنت الحكومة عن ارتفاع في أسعار اللحوم. وبالرغم من محاولات الحكومة للحيلولة دون اندلاع إضرابات بالإعلان عن زيادات في

الأجور، إلا أن نحو ١٥٠ مؤسسة أعلنت الإضراب في يوليو ومطلع أغسطس، وفي ١٤ أغسطس من عام ١٩٨٠ أعلن عمال حوض بناء السفن في جدانسك الإضراب احتجاجًا على طرد القائد العمالي أنا والينتينوتيس. وسرعان ما حذا حذوهم عمال من مصانع أخرى أعلنوا الإضراب لأسباب مماثلة والتضامن مع عمال جدانسك. وشكل المضربون بقيادة ليش واليسا لجنة لتنظيم الإضرابات داخل المصانع تضم ممثلين عن كل مؤسسة مضربة. وأعد هؤلاء قائمة تضم ٢١ مطلبًا من بينها حق العمال في إنشاء نقابات عمالية حرة، وحق الإضراب، وعودة أنا والينتينويتس وليش واليسا للعمل، وحرية التعبير والطباعة والنشر. وأعلنت الكنيسة الكاثوليكية تأييدها للعمال المضربين. وتوجه ممثلون للمصانع المضربة إلى جدانسك، وفي ٢٢ أغسطس صدر أول عدد من نشرة «تضامن» متضمنة أخبار الإضراب.

وفي البداية رفض قادة الحزب الشيوعي الحديث مع اللجنة الممثلة للعمال المضربين، إلا أنه من يوم ٢٢ أغسطس وافق نائب رئيس الوزراء جاجيلسكي على التفاوض. وبدأت المفاوضات في اليوم التالي. وفي ٢٦ أغسطس أصبحت اللجنة الممثلة للعمال تضم ألف وفد يمثلون خمسمائة مؤسسة، وهددت بتنظيم إضراب شامل في الأول من سبتمبر. ونتيجة لذلك، اضطرت الحكومة لتوقيع اتفاقية في ٣١ أغسطس ١٩٨٠، وافقت فيها على الاعتراف بشرعية حركة النقابات العمالية الحرة، وعلى الإقرار باستقلالية النقابات والموافقة على حق الإضراب. وبهذا الشكل كان العمال البولنديون قد أحرزوا لأول مرة نجاحًا باهرًا في النضال من أجل حقوق العمال.

وفي ١٧ سبتمبر التقى ممثلون لخمسة وثلاثين اتحادًا نقابيًا في جدانسك، وأعلنوا تشكيل التضامن «اتحاد العمال البولندي الحر»، وأبدى ثلاثة ملايين عامل استعدادهم للانضمام إلى الاتحاد. وفي ٢٩ سبتمبر دعا التضامن إلى إضراب تحذيري

لمدة ساعة في ٣ أكتوبر احتجاجًا على عدم تطبيق السلطة لاتفاق ٣١ أغسطس بالكامل. وفي١٠ نوفمبر اعترفت المحكمة العليا في بولندا رسميًا بشرعية التضامن.

وفي أواخر عام ١٩٨٠ أصبحت «تضامن» تضم ما يقرب من عشرة ملايين عامل. وفي ٢ يناير عام ١٩٨١ بدأ الفلاحون في رزيسزو إضرابًا انتهى بتشكيل «تضامن» فلاحية. وفي ١٩ مارس اعتدت قوات الشرطة بالضرب على ثلاثة من قادة التضامن في بيدجوسزس. وعلى الفور دعت «تضامن» إلى إضراب تحذيري في ٢٧ مارس لمدة أربع ساعات، وهددت بالدعوة إلى إضراب شامل في ٣١ مارس إذا لم تقم السلطات بمعاقبة المسؤولين عن الاعتداء، وتم إلغاء الإضراب بعد التوصل إلى تسوية.

وفي أعقاب إضراب «تضامن» في أواخر عام ١٩٨١ قرر ياروزيلسكي القائد الجديد للحزب الشيوعي البولندي التصرف بحزم، وأعلن في ١٣ ديسمبر (حالة الحرب). وتم اعتقال ما يزيد على ألف من قادة التضامن، وأُعلن قانون الطوارئ الذي تم بمقتضاه فرض حظر التجول وفرض الرقابة وحظر الاجتماعات العامة. واقتحمت قوات الأمن المصانع وسحقت الإضرابات، وتم اعتقال آلاف العمال في الأشهر القليلة التالية.

ولم تنجح هذه الإجراءات القمعية في القضاء على «تضامن». وبالرغم من اعتقال عديد من قادتها؛ إلا أن «تضامن» تحولت إلى العمل السري، وشكلت لجنة مؤقتة للتنسيق في ٢٢ إبريل ١٩٨٢. ونجحت «تضامن» في تنظيم مظاهرات ضخمة في ١ مايو و٣١ أغسطس ١٩٨٢، وفي يوليو ١٩٨٤ صدر عفو عام عن عديد من قادة «تضامن». واستمرت «تضامن» تمارس نشاطها السري بإصدار الكتيبات والصحف وخلق مؤسسات بديلة والدعوة إلى احتجاجات رمزية. وفي ٣٠ سبتمبر ١٩٨٦، تم تشكيل مجلس مؤقت لها بصفة علنية لتنسيق الأنشطة مع

لجنة التنسيق السرية. وبقيت «تضامن» حركة فعالة للمقاومة اللاعنيفة في مواجهة الشمولية

استمرت حركة «تضامن» في العمل السري لمدة سبع سنوات، كان النظام مسيطرًا فيها بالكامل في الظاهر، ولكن الأساس الذي بنى عليه النظام سيطرته كان خاويًا متصدعًا.

في صيف عام ١٩٨٨، انهار الإقتصاد البولندي تمامًا، فارتفعت الأسعار بشكل غير معقول، وامتدت الطوابير في كل مكان للحصول على المواد الغذائية، وزادت البطالة على مستويات غير مسبوقة، وانتشرت الإضرابات مرة أخرى بشكل عفوي وموزع في كل أرجاء البلاد، فلم تستطع الحكومة أن تضع حدًا لها.

رضخ النظام مرة أخرى فدعا فاليسيا لإنقاذ الموقف، وعرضت الحكومة إعادة الشرعية لحركة «تضامن» بشرط أن يقبل فاليسيا التفاوض مع الحكومة من أجل إنهاء الإضرابات.

في غضون ثلاثة أيام عادت البلاد إلى العمل بشكل طبيعي، وأثبتث الحركة مرة أخرى أن حركة «تضامن» أصبحت حركة سياسية مسؤولة، وقوة سياسية فاعلة لا يمكن تجاوزها أو ضربها.

وفي فبراير بدأت المفاوضات بين الحكومة وقوى المعارضة حول مستقبل بولندا، شارك فيها وفود عن الحكومة والحزب الحاكم، وحركة «تضامن»، والكنيسة الكاثوليكية.

بعد شهرين من المفاوضات المستمرة، وافق الجميع على النقاط التالية:

١. وجود نقابات حرة.

٢. وجود صحافة حرة.

٣. إجراء انتخابات نيابية نزيهة.

في غضون شهرين من الإعداد المكثف للإنتخابات من كل الأطراف السياسية تمكن مرشحو حركة «تضامن» من الحصول على شعبية كبيرة بين الناس بشكل فاجأ السلطة والقوى الدولية المراقبة للأوضاع في بولندا. فلم يتوقع أحد أن الحركة يمكنها إزاحة الحزب الشيوعي من السلطة عبر صناديق الإقتراع بهذه السرعة.

في ٤ يونيو عام ١٩٨٩ جرت أول انتخابات ديمقراطية منذ أكثر من ٦٠ عامًا من الحكم الشمولي، وتمكن البولنديون من التصويت بحرية لاختيار ممثليهم في الحكومة.

مع إغلاق آخر صناديق الإقتراع في القرى والمدن البولندية، تبين أن حركة «تضامن» حققت ما كان يعتقد استحالته منذ عدة أشهر، فقد استطاعت أن تهزم الحزب الشيوعي البولندي بنسبة بلغت ١٠ إلى ١.

وهكذا استطاع الشعب البولندي عبر أسلحة اللاعنف إسقاط أكبر الأحزاب الشيوعية في أوروبا الشرقية.

وقال فاليسيا كلمته المشهورة: «**لو فتحوا شقًا صغيرًا في تلك الأبواب المؤدية للحرية، لوضعت حذاء الطبقة العاملة في تلك الشقوق، بحيث لن يتمكنوا من إغلاقها إلى الأبد**».[1]

(1) Peter Ackerman and Jack DuVall, A Force More Powerful: A Century of Nonviolent Conflict, (St. Martin's Press, 2000).

التجربة الصربية

تكونت حركة «أوتبور» - «المقاومة» باللغة الصربية - عقب القصف الأمريكي من عشرين طالبًا لا تتجاوز أعمارهم الثلاثين عامًا. واستغرقت المرحلة الأولى من تأسيس الشبكة الرئيسة للمنظمة ما يقرب من عام كامل، ولكنها نمت بسرعة فائقة بعد توقف القصف الأمريكي.

انطلقت المجموعة محاولةً كسر الاعتقاد السائد في الشارع الصربي بأن ميلوسوفيتش لن يستجيب إلا للقوة، ولن يتخلى عن الحكم إلا بالقوة، فتبنت المنظمة العمل السري اللاعنيف، وأصبح الانضمام إليها أشبه بالانضمام للجيش، وعبر العلاقات الاجتماعية والدراسية.

بدأت المجموعة أنشطتها في الشوارع من خلال توزيع الأوراق والمنشورات التي تحمل شعارها وبعض الأفكار المحددة البسيطة والواضحة جدًا التي تدعو الناس للتفكير في إمكان هزيمة الطاغية بالأساليب اللاعنيفة.

استمرت المنظمة الشبابية في الخروج إلى الشارع لتمارس الاحتجاج بشكل يومي، وكان الطلاب في كل مرة يحاولون الإبداع في كيفية الاحتجاج على سياسات الديكتاتور. ففي ليلة رأس السنة الميلادية أقامت المجموعة احتفالًا عامًا، وقبيل منتصف الليل عرضت فيلمًا وثائقيًا يحوي صور وأسماء ضحايا الحروب التي ورطهم فيها الطاغية. وفي ليلة الاحتفال بعيد ميلاد ميلوسوفيتش قام الطلاب بإعداد كعكة كبيرة وقسموها إلى عدة قطع وكتبوا على كل قطعة منها منطقة من مناطق صربيا، ورمزوا بذلك إلى تفتت البلاد وسهولة ابتلاع ميلوسوفيتش لكل قطعة بمفردها. وفي يوم تزامن مع خسوف القمر قامت مجموعة في بلغراد بصنع تلسكوب كبير وضعت

في نهايته صورة مقلوبة لميلوسوفيتش، ونزلوا للشارع يقولون (انظروا للخسوف التي تريدونه) وهو خسوف ميلوسوفيتش من حياتهم. وهكذا استطاعوا أن يلفتوا أنظار الناس إليهم ليستمعوا لما يقولونه ويفكرون فيه بعمق، واستطاعوا أيضًا أن يستقطبوا فئة الشباب والطلاب بالذات، مما زاد من حيوية الممارسة النضالية ضد ميلوسوفيتش. وفي البداية استطاع النظام السيطرة على تلك المظاهرات والاحتجاجات بسهولة من خلال الاعتقالات وأساليب القمع المباشر.

عقدت «أوتبور» مؤتمرًا في نفس الليلة التي عقد فيها الحزب الاشتراكي مؤتمره العام، ودعت إلى ذلك الاجتماع العديد من الزعامات السياسية والصحفيين الذين قبلوا بالمخاطرة للحضور في اجتماع غير قانوني ـ حسب ما تعتقده السلطة. وفيه أقرت القوى السياسية مجتمعة بأن «أوتبور» أصبحت قوة حقيقية في الشارع السياسي الصربي، حيث أصبح لها مكاتب في معظم المدن والتي تجاوزت سبعين فرعًا انتشرت في أرجاء البلاد. وقد زاد من شعبيتها تعرض شبابها للقمع والاضطهاد والاعتقال.

حددت المنظمة ٣ مطالب في غاية الوضوح:

- إزاحة الطاغية بلا عنف.
- مجانية التعليم الجامعي.
- حرية واستقلالية الصحافة والإعلام.

اعتمدت المنظمة في أنشطتها على الفتية المحليين في وسط الأحياء الفقيرة وفي المدن، وكان الهدف دائمًا هو توظيف الاستياء الشعبي الشديد في الأرياف والقرى حيث الفقر والغضب. وبالفعل تحولت المدن إلى مراكز فعالة للمعارضة الشبابية والمقاومة المدنية السلمية. وأصبح أبناء وبنات العمال والفلاحين هم مصدر القوة

للمنظمة، ومصدر النشاط والحيوية في شبكة المقاومة اللاعنيفة.

وعقب قيام الدولة بإقفال محطتي الإذاعية والتلفزيون تجمع آلاف المحتجين، وتواصل الاحتجاج لمدة يومين كاملين. وفي مساء اليوم الثاني أقدمت قوات الشرطة على قمع المحتجين بقوة السلاح، مما أدي إلى سقوط العديد من الجرحى من الرجال والنساء.

بعد عشرة أيام نظمت «أوتبور» مسيرات تحركت من المحافظات البعيدة نحو بلغراد، في سيارات نقل وشاحنات ودرجات نارية، وجاء بعضهم مشيًا على الإقدام من المناطق القريبة. كان الهدف من المسيرات هو الضغط على قادة المعارضة السياسية السرية والعلنية لكي يوقفوا مشاحناتهم ويوحدوا جهودهم من خلال برنامج عمل موحد، يستقطب أكبر عدد من النشطاء للتصدي لقمع السلطة. وظلت «أوتبور» تضغط على قادة المعارضة السياسية إلا أنهم لم يعطوا المنظمة أهمية كبيرة بسبب حساباتهم الخاطئة المتعلقة بشعبية المنظمة الشبابية. كما كانوا في غاية القلق من نشاطات المنظمة الشبابية لأنها كانت تملأ الفراغ السياسي الذي لم يكونوا قادرين على ملئه.

بعد عدة أسابيع أعلن ميلوسوفيتش عن إجراء الانتخابات العامة قبل موعدها بعشرة أشهر، وكان يراهن على أن المعارضة لن تحسم خلافاتها ولن تكون مستعدة لخوض الانتخابات. وكان مستعدًا لاكتساح الانتخابات أو تزوير النتائج من أجل الحفاظ على سلطته ولو بالقوة.

وإزاء هذا الموقف أعلنت المعارضة عن ائتلاف جديد لمنافسة ميلوسوفيتش في الانتخابات ضم ثمانية عشر فصيلًا من فصائل المعارضة السياسية في صربيا. وأعلنت ترشيحها لمنافس واحد ضد ميلوسوفيتش، وتم الاتفاق على محام يقود حزب صغير، أظهرت استطلاعات الرأي أنه أفضل من يواجه ميلوسوفيتش

ويلتقي حوله الجميع.

وفي يوم الانتخابات ٢٤ سبتمبر من عام ٢٠٠٠ استطاعت «أوتبور» أن تنتشر ثلاثين ألف مراقب لها في كل المواقع التي كانت بها صناديق الاقتراع، مما أفشل مخططات ميلوسوفيتش للتزوير، باستثناء بعض المواقع في بلغراد التي كانت تحت سيطرة الحزب الحاكم ولم يتمكن شباب المنظمة من الدخول إليها.

أعلنت «أوتبور» والأحزاب والمجموعات المعارضة النتائج غير الرسمية، حيث بينت أن ميلوسوفيتش قد خسر الانتخابات، فخرجت صربيا كلها إلى الشارع للاحتفال بسقوطه، إلا أن النتائج الرسمية أعلنت عن إعادة الانتخابات لفشل كلا المرشحين في الحصول على أكثر من ٥٠٪ من الأصوات.

نزلت «أوتبور» وقوى المعارضة للشارع، وحرضت الناس على الخروج والتظاهر في كل مكان، وقادت المسيرات لجان العمل في الأحياء والجامعات والمعاهد، وأُعلن أن الهدف هو: إجبار ميلوسوفيتش على التراجع. ودعوا الشعب الصربي للاستعداد للإضراب العام، فتجاوب عمال المناجم مباشرة بالإعلان عن الإضراب في أكبر منجم يمد صربيا بالكهرباء.

انتشرت الإضرابات وشُلت الحياة على مستوى البلاد، حيث أوقف سائقو السيارات الشاحنات والناقلات والحافلات وسيارات الأجرة آلياتهم في تقاطع الشوارع الرئيسة في المدن، مما شل حركة المرور بالكامل، واتسع الإضراب بشكل غير مسبوق، وكان أمام ميلوسوفيتش خيارين لا ثالث لهما: إما أن يستقيل ويقبل بالنتيجة الحقيقية للانتخابات، وإما أن يستخدم القوة.

استمرت الإضرابات والحشود في المدن لمدة عشرة أيام، وكانت في تصاعد مستمر حتى أصبحت البلاد مشلولة بالكامل، وكان واضحًا أن أغلب الشعب

الصربي ضد ميلوسوفيتش. وكثفت المعارضة اتصالاتها بقوات الجيش والشرطة لتحييدها.

وفي الخامس من أكتوبر -أي بعد عشرة أيام من الانتخابات كان خلالها الإضراب العام مستمرًا- قادت «أوتبور» جموع الصرب لاحتلال مبنى البرلمان. وبعد ساعات من وصول الحشود من كل أنحاء البلاد إلى ساحة البرلمان؛ انسحبت قوات الشرطة واستولى الشعب على السلطة، وسقط الطاغية.[1]

(1) Peter Ackerman and Jack DuVall, A Force More Powerful: A Century of Nonviolent Conflict, (St. Martin's Press, 2000).

تجربة جواتيمالا

حكم الجنرال جورج أوبيكو جواتيمالا منذ عام ١٩٣١ بمساعدة الشرطة السرية، وبلغ من البطش والديكتاتورية حدًا جعل بعض الصحف الأمريكية تشبهه بهتلر.

وخلال الحرب العالمية الثانية كان هناك الكثير من الجنود الأمريكيين في جواتيمالا التي انضمت للحلفاء. وخلال هذه الفترة عمل الأمريكيون على نشر فكرة وقيم الديمقراطية بين الشباب والطلاب والمهنيين، وكانوا يقولون إن هذه الحرب التي يخوضونها هي من أجل الديمقراطية. وواكبت هذه الأحداث تغيرات أضعفت من موقف أوبيكو، فالقرار الذي اتخذه أوبيكو بالحجز على بعض مزارع القهوة المملوكة لبعض الألمان جعل بعض الداعمين لنظامه يتراجعون أو يسحبون دعمهم له، فتلك القرارات المحلية أدت إلى حدوث اضطرابات بين العمال وبين مجتمع رجال الأعمال، وصادف في تلك الفترة أن تعرض ديكتاتور السلفادور المجاورة «مارتينز» لحملة واسعة من المقاومة اللاعنيفة، وهو ما اعتبره أوبيكو نموذجًا خطيرًا ومعديًا يجب الحذر منه، والضرب بقبضة حديدية حتى لا يتكرر نفس السيناريو السلفادوري في جواتيمالا، خاصة وأن موجة الاضطرابات قد بدأت في جواتيمالا أولًا وإن كانت بشكل بسيط.

وفي أواخر مايو من عام ١٩٤٤ طالب خمسة وأربعون محاميًا بعزل القاضي الذي تسبب في تقديم جميع المعارضين السياسيين للمحاكمة، وقد طالب أوبيكو المحامين بتوجيه تهم محددة للقاضي، وكانت المفاجأة أنه تم السماح لإحدى الصحف بنشر هذه التهم.

وفي اليوم السابق للعرض السنوي للمدرسين وطلاب المدارس أمام أوبيكو وقع ٢٠٠ مدرس على التماس مقدم إلى أوبيكو يطالبونه فيه بزيادة أجورهم، فما كان منه إلا أن ألقى القبض عليهم ووجه إليهم تهمًا متعلقة بالتآمر على المؤسسات الاجتماعية للحكومة العليا، ورد عليه المدرسين بمقاطعة العرض، فما كان منه إلا أن طردهم من العمل.

وفي العشرين من يونيو تم إعلان الوثيقة التأسيسية للحزب الاجتماعي الديمقراطي، والتي نصت على وجوب إنشاء وتفعيل أحزاب المعارضة، ونادت بالعدل الاجتماعي ورفع الإرهاب الحكومي عن الشعب، وبأهمية تضامن وتماسك كل المضطهدين في نصف الكرة الجنوبي. وفي نفس الوقت قدم الطلاب التماسًا إلى أوبيكو يطالبونه باستقلالية الجامعة وبإعادة اثنين من مدرسي الجامعة – كان قد تم فصلهما – وبالإفراج عن طالبين من طلاب الحقوق، وتعهدوا بعمل إضراب طلابي إذا لم يتم الاستجابة لطلباتهم.

فأعلن أوبيكو حالة الطوارئ ونعت الطلاب بالنازيين والفاشيين، مما اضطر الكثير من قادة الحركة الطلابية إلى اللجوء إلى السفارة المكسيكية خوفًا من بطش النظام. ورغم بطش أوبيكو إلا أن بعض شباب المحامين وبعض المهنيين رفضوا هذا الإرهاب الذي تمارسه الدولة ودعموا الطلاب، وفي ٢٣ من يونيو أضرب مدرسو المدارس.

وكان أوبيكو قد صرح من قبل بأنه لو طالبه ٣٠٠ مواطن جواتيمالي بالاستقالة لاستقال فورًا، وفي يوم ٢٤ يونيو قدم شخصان – وهما كاربونيل وسيرانو – مذكرة إلى مكتب الرئاسة تحوي عدد ثلاثمائة وأحد عشر موقعًا على مذكرة تطالب باستقالة أوبيكو، موضحين الأسباب التي دعتهم لمطالبته بالاستقالة، كما طالبوا باحترام الدستور، وبرفع قوانين الطوارئ والأحكام العرفية، وفي نفس الوقت قام الطلاب

بتنظيم مسيرة سلمية أمام السفارة الأمريكية مؤكدين اعتمادهم على الوسائل السلمية في مواجهة النظام الديكتاتوري. وطالبوا فيها باستقالة أوبيكو، واستمر هذا التجمع السلمي حتى المساء، وفي الليل هاجمتهم قوات الشرطة والجيش واعتقلت المئات.

وفي اليوم التالي استدعت وزارة الخارجية كاربونيل وسيرانو اللذين قدما المذكرة المطالبة باستقالة أوبيكو إلى القصر الوطني، وانضم إلى الاجتماع الرئيس السابق للشرطة السرية، وبمجرد بدء الاجتماع قامت مسيرة ضخمة أمام القصر الوطني، فعمدت الحكومة إلى وضع الحواجز ونشر فصائل الشرطة والجيش المزودة بالقنابل المسيلة للدموع والذخيرة الحية، بالإضافة إلى سلاح الفرسان والمدرعات والدبابات لتحول بين المتظاهرين وبين الوصول للقصر الوطني، وقد طالب المجتمعون كلًا من كاربونيل وسيرانو بتهدئة الجماهير، ورغم أن الاجتماعات مع قادة المعارضة كانت ممنوعة إلا أنهم وافقوا على أن يجتمع الرجلان بقادة الحركات المعارضة لإيجاد حل لهذه الأزمة.

وفي ذلك اليوم ارتدت النساء ملابس الحداد السوداء، وشرعن في الصلاة في كنيسة سان فرانسيسكو في وسط مدينة جواتيمالا راجيات أن تنتهي هذه الأحداث الوحشية، ثم خرجن في موكب صامت رائع، وما لبثت قوات الشرطة أن وجهت طلقاتها تجاه هذا الموكب وهذا الحشد من النساء، وهو ما أدى إلى سقوط العديد من الجرحى، وقتلت إحدى المدرسات في هذه الأحداث، والتي أطلق عليها الشهيدة الأولى.

وكان رد مدينة جواتيمالا على بشاعة ووحشية النظام الديكتاتوري صامتًا ولكن شديد التأثير، إذ توقف المعارضون عن الحديث أو التفاوض مع الدولة، وأضرب العمال، وأغلق التجار متاجرهم، وأغلق رجال الأعمال مكاتبهم وشركاتهم. لقد كان إغلاقًا اقتصاديًا شاملًا أصاب الدولة بالشلل. فقد كان كل

شيء مغلقًا، وكانت الشوارع والطرقات مهجورة تمامًا.

وبعد أن فشلت محاولات أوبيكو للتفاوض من جديد استجابت المعارضة لطلب الهيئة الدبلوماسية بالجلوس مع أوبيكو وجهًا لوجه والتفاوض معه مباشرة، وفي بداية المفاوضات أخبر مندوبو المعارضة أوبيكو في وجهه : «**لم تعرف جواتيمالا شيئًا في عهدك سوى القمع**».

ولكن أوبيكو أصر على موقفه قائلًا: «**بأنه لن يسمح بصحافة حرة أو جمعيات وهيئات مستقلة وحرة ما بقي رئيسًا للدولة، وأن الشعب الجواتيمالي غير مؤهل للديمقراطية وأنه – أي الشعب – بحاجة إلى قبضة قوية**».[1] وقد طرح المعارضون عليه فكرة الاستقالة وفكرة التداول السلمي للسلطة.

ورغم فشل محاولاتهم لانتزاع أي شيء منه إلا أنهم قدموا له مذكرة يستعرضون فيها رغبة الشعب الجواتيمالي في استقالته والأسباب التي جعلتهم يرغبون في استقالته، كما طالبوا في هذه المذكرة مرة ثانية برفع الأحكام العرفية وحرية الصحافة والمؤسسات والهيئات، وبوقف الهجمات والمداهمات التي تشنها الشرطة على بيوت المعارضين وعموم الناس. وإضافة إلى ذلك بدأت الخطابات المطالبة باستقالة أوبيكو تنهال عليه من كبار الشخصيات ورجال الأعمال، واستمر الإغلاق الاقتصادي الشامل. وهكذا بدأت تتحلل قوة الديكتاتور.

وفي الأول من يوليو عام ١٩٤٤ تنازل أوبيكو عن الحكم لصالح حكومة ثلاثية يترأسها ثلاثة من الجنرالات، وتلا ذلك بشكل فوري نشاط سياسي غير معتاد، إذ بدأت النقابات المهنية والعمالية والهيئات والمنظمات المستقلة في المساهمة في النشاط السياسي، وعاد المنفيون، وقد حاول الجنرال بونسي – أحد الجنرالات الثلاثة – أن ينصب نفسه مكان أوبيكو. وفي أكتوبر واجه النظام إضرابًا عامًا

1 Ibid., p. 211.

وإضرابًا طلابيًا، ثم خلع الجنرال بونسي من الحكم عن طريق انقلاب عسكري. وبعدها واجهت جواتيمالا أيامًا وأحداثًا صعبة.

ورغم أن الانتصار على أوبيكو لم يؤسس لنظام ديمقراطي حقيقي في النهاية إلا أنه كان نصرًا حقيقيًا للشعب ولطريقته في الكفاح.[١]

(١) لقراءة المزيد يمكن الرجوع إلى:

- Mario Rosenthal, Guatemala: The Story of an Emergent Latin-American Democracy (New York: Twayan Publishers, 1962), pp. 191-214.
- Ronald M. Schneider, Communism in Guatemala 1944-1945 (New York: Frederick A. Praeger, 1958), pp, 5-14.

تجربة جنوب أمريكا

عانى الزنوج السود منذ عدة قرون من ممارسات التفرقة العنصرية والجوع والعنف، فكان لا ينظر إليهم فقط كعبيد يفعلون ما يؤمرون؛ إنما كأداة تُستغل أجسادهم وأرواحهم لخدمة السيد الأبيض، وبالرغم من مرور ١٠٠ عام على تحرير العبيد على يد أبراهام لينكولن؛ لم يُسمح للزنوج بشراء ممتلكات خاصة، أو التواجد في أماكن يتواجد فيها نظراؤهم من البيض، إضافة إلى المهانة التي يتعرضون إليها على أيدي البيض، هذا إلى جانب الظلم الاقتصادي بسبب ما يعانونه من فقر؛ ففي الستينيات كان يعيش أكثر من عشرين مليون زنجي في بيوت فقيرة قذرة مبنية من الصفيح والأخشاب في مدن الولايات المتحدة الشمالية؛ هربًا من ظلم التفرقة العنصرية في الجنوب، إضافة إلى انتشار البطالة والجهل والأمراض في الأوساط الزنجية.

استمرت تلك الأوضاع إلى أن اختارت الأقدار مدينة مونتجمري -إحدى مدن الجنوب الأمريكي- لتكون مسرحا لأحداث خالدة قادها مارتن لوثر كينج - راعي الكنيسة المعمدانية في ديكستر بمدينة مونتجمري- لمواجهة الظلم، وإرساء نظرية جديدة تتسم بالاتزان والاعتدال للمطالبة بالحقوق المدنية وإلغاء التفرقة العنصرية؛ فقد استطاع عن طريق ترسيخ مفهوم المقاومة باللاعنف أن يجمع حوله الزنوج، ويدفعهم إلى العمل الإيجابي؛

فلم ييأس ويستسلم مثلما فعل بعضهم، ولم ينسَقْ وراء الانفعالات التي أفقدتهم أبناءهم ودماءهم.

وكان من مظاهر الاضطهاد والاحتقار التي يعانيها السود ما يلقونه من شركة خطوط أتوبيسات المدينة التي اشتهرت بإهانة عملائها من الزنوج، حيث كانت تخصص لهم المقاعد الخلفية في حين لا تسمح لغير البيض بالمقاعد الأمامية، وعليه كان من حق السائق أن يأمر الركاب الزنوج بترك مقاعدهم لنظرائهم البيض، وكان على الركاب الزنوج دفع أجرة الركوب عند الباب الأمامي، ثم يهبطون من السيارة، ويعاودون الركوب من الباب الخلفي، فكان بعض السائقين يستغلون الفرصة، ويقودون سياراتهم ليتركوا الركاب الزنوج في منتصف الطريق!

واستمر الحال إلى أن جاء يوم الخميس أول ديسمبر ١٩٥٥، حيث رفضت إحدى السيدات وهي حائكة زنجية أن تخلي مقعدها لراكب أبيض، فما كان من السائق إلا أن استدعى رجال الشرطة فألقوا القبض عليها بتهمة مخالفة القوانين؛ فكانت البداية.

بدأ رد الفعل بأهم حدث في حياة الزنوج؛ فقد جاء قرار مقاطعة خطوط الأتوبيسات في مونتجمري -الذي اتخذه مارتن لوثر كينج مع رئيس مجلس النساء جو آن روبنسون ومسئول الاتحاد الوطني لتنمية شئون الملونين- في وقت مناسب ليؤذن بانتهاء حقبة في تاريخ الزنوج وبداية حقبة جديدة؛ فقد كان من المقدر أن تستمر هذه المقاطعة لمدة يوم طبقًا لأكثر التوقعات تفاؤلًا، ولكن أثبتت إرادة الزنوج ما تعدى كل التوقعات؛ فقد استمرت المقاطعة ما يقرب من عام كامل، كان الزنوج يعتمدون فيه إما على سيارات معارفهم أو ركوب البغال والخيول أو الدراجات أو يذهبون إلى أعمالهم سيرًا على الأقدام. وفى الواقع كانت هنالك حركات مقاطعة لسيارات الأتوبيس من قبل في هارلم سنة ١٩٤١ وفى باتون روج سنة ١٩٥٣، ولكن لم تكن هناك حركة تعم أرجاء الجنوب، وتوحد كلمة الزنوج مثلما حدث في مقاطعة مونتجمري.

وردًا على حركة المقاطعة حاول البيض القضاء على تلك الحركة وقمعها بكافة الطرق؛ فقد ألقي القبض على كينج في ٢٦ يناير ١٩٥٦ بتهمة قيادة سيارته بسرعة ٣٠ ميلًا في الساعة في منطقة أقصى سرعة مسموح بها فيها ٢٥ ميلًا، وألقي به في زنزانة مع مجموعة من السكارى واللصوص والقتلى، وكان هذا أول اعتقال له؛ مما أثر فيه بشكل بالغ العمق؛ حيث لاحظ الجو المجرد من الإنسانية الذي يعيش فيه المساجين، وقد كان معظم المسجونين من الزنوج الذين عانوا الفقر، ووجدوا في السُّكْر والسرقة ما يهربون به من عالم الظلم والاضطهاد، بعد فترة من السجن أفرج عنه بالضمان الشخصي.

وقد حاولت السلطات أن تزرع الفُرقة في مجتمع السود، فعقدت لجنة المدينة اجتماعًا مع ثلاثة من ممثلي الزنوج لبحث التسوية، وسربت اللجنة تقريرًا مزورًا للصحف تعلن فيه عن إنهاء المقاطعة، إلى أن جاء تقرير من الزنوج بالشمال يسأل عن صحة هذه المعلومات، بعد أن كاد السود يصدقون هذه الإشاعة، فسارع بعض قادة الزنوج بنشر التكذيب، ووصف هذا الفعل بالخدعة.

وفي ٣٠ يناير ١٩٦٥ حينما كان مارتن لوثر كينج يخطب في اجتماع عام ألقيت قنبلة على الجزء الأمامي من منزله، وكاد أن يفقد في هذه الحادثة زوجته وابنه، وعندما وصل إلى منزله وجد مجموعة من الزنوج الثائرين مسلحين يريدون الانتقام لما حدث، وبات واضحًا أن مونتجمري تقف على حافة حمام من الدماء بعد أن فشلت محاولات البيض لإنهاء المقاطعة، فوقف كينج يخطب مطالبًا «دعوا الذعر جانبًا، ولا تفعلوا شيئًا يمليه عليكم شعور الغضب، إننا لا ندعو إلى العنف، وأود أن يعرف الجميع أنني إذا ما توقفت فلن تتوقف الحركة»، وبالفعل استمرت حركة المقاطعة بالرغم مما يواجهه من ضغوط وتهديدات بفقدان حياته، وألقي القبض عليه مرة أخرى ومعه مجموعة من القادة البارزين في شهر فبراير بتهمة الاشتراك في

مؤامرة لإعاقة العمل دون سبب مشروع أو قانوني، إلى أن قامت أربع سيدات زنجيات بتقديم طلب للمحكمة الاتحادية تقضي بإلغاء التفرقة العنصرية في سيارات الأتوبيس في مونتجمري، وأصدرت المحكمة حكمها بأن القواعد التي تتيح التفرقة في سيارات الأتوبيس غير قانونية.

وقبل نهاية عام ١٩٥٦ صار من حق السود الجلوس في مكان واحد مع البيض، ومن هنا أدرك البيض ما فعلته المقاطعة باقتصادياتهم؛ إذ أنهم خسروا آلاف الدولارات من جراء ذلك؛ فطبقًا لإحصائيات شركة الأتوبيسات أنها فقدت من إيراداتها ٩٠٪، حيث كانت تعتمد على الركاب السود، وهكذا نجحت المقاطعة، ونجحت نظرية كينج في المطالبة بالحقوق والمقاومة بدون عنف.

ومنذ أن قامت هذه المقاطعة بدأت المطالبة بالحقوق المدنية تتصاعد؛ فأسس الزنوج مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية (SCLC) عام ١٩٥٧، وانتخبوا مارتن رئيسًا له، وعمل المؤتمر على تنظيم الاعتصامات والمظاهرات الجماعية وبرامج مكافحة الفقر.

ففي عام ١٩٦٢ نظمت مسيرات الاحتجاج ببرمنجهام، التي ألقي فيها القبض على مارتن للمرة الثانية بتهمة إثارة أعمال الشغب والإرهاب، وفى سجنه الانفرادي حرر خطابًا أصبح فيما بعد من المراجع المهمة لحركة الحقوق المدنية.

كما وجه كلماته إلى مجتمع البيض: «لقد أشرتم إلى نشاطنا في برمنجهام، ووصفتموه بالتطرف، ولكن ما إن مضيت أتدبر الأمر

حتى أخذت أشعر تدريجيًا بشيء من الارتياح لما أوصف به من التطرف والإرهاب، أولم يكن المسيح متطرفًا في المحبة؟ وألم يكن أبراهام لينكولن (محرر العبيد) متطرفًا؟ ومن ثم فإن القضية ليست: هل نكون متطرفين؟ بل هي في

الواقع: أي نوع من المتطرفين نكون؟ أنكون متطرفين في المحافظة على الظلم، أو نكون متطرفين في خدمة قضية العدالة؟»

وباستمرار الاحتجاج نجح كينج في خلق الأزمة التي كان يسعى إليها، وراح الزنوج يحرزون الانتصار تلو الآخر؛ فلم يسع البيض من سكان المدينة إلا أن خولوا على الفور لجنة للتفاوض مع زعماء الزنوج، وبعد مفاوضات شاقة وافق الكونجرس على سَن قانون الحقوق المدنية الذي نص على إلغاء التفرقة العنصرية والتمييز القائم على أساس الجنس واللون والدين في جميع المؤسسات العامة؛ مما حسن من أوضاع السود والأقليات الأخرى -على الأقل من الناحية القانونية، وكان من نتيجة ذلك إنشاء مفوضية الحقوق المدنية كهيئة منظمة، وإنشاء دائرة الحقوق المدنية تابعة لوزارة العدل.

كما نبه كينج في أكثر من مرة إلى حقوق الانتخاب والتصويت، إلى أن مر الكونجرس القانون الذي قضى بأنه لا قيد على التصويت، وأنه من حق أي مواطن أمريكي بغض النظر عن لونه أو جنسه أو دفع الضريبة أو اختبارات القراءة والكتابة وغيرها من القيود التي أنكرت حق الزنوج في التصويت.

وقد كان لهذا القانون تأثير عميق على الفرص السياسية للسود في الجنوب؛ فقد أبلغ مكتب الإحصاء في عام ١٩٦٠ أن هناك ٣٢ ألف أسود مسجلين للتصويت في المسيسبي، وقد زاد هذا العدد إلى ١٧٥ ألف عام ١٩٦٦، كذلك نما العدد في ألاباما من ٦٦ ألفًا إلى ٢٥٠ ألفًا في نفس العام.

وفي أواخر الستينيات اتجه اهتمام مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية إلى بحث أوضاع الفقراء، وأشار مارتن إلى أن هذه الحملة لا تستهدف الفقراء من السود فقط، إنما يجب إنصاف الهنود الأمريكان والمكسيكيين والفقراء من البيض.

لم يستطيع مارتن أن يجني حصاد كل ما زرع؛ فقد اغتيل ببندقية أحد المتعصبين، يدعى (جيمس أرل راي) في ٤ أبريل ١٩٦٨.[١]

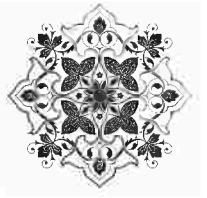

(١) مقتبسة من مقالات كتبت على موقع إسلام أون لاين للكاتبة ريهام محمد.

تجربة الشعب التشيلي

في الحادي عشر من سبتمبر لعام ١٩٧٣، استولى الديكتاتور التشيلي بينوتشيه على السلطة من خلال انقلاب عسكري دموي ضد الرئيس المنتخب سلفادور أيندي الذي قُتل في الانقلاب. وخلال أشهر أودع عشرات الآلاف من المواطنين السجون، وأعدم أكثر من ثلاثة آلاف شخص.

وخلال سنوات قليلة قضى بينوتشيه بلا رحمة على كل تحد لسلطته، وتدخل في كل مناحي الحياة اليومية للمواطن التشيلي، وعم في المجتمع الشعور بالقمع والاضطهاد والخوف، واستطاع نظام الديكتاتور القمعي السيطرة على الأمور، وانتشر بين الناس الرعب من (**رجل الرعب**).

وبعد عشر سنوات من السيطرة المطلقة للنظام الدموي، وصلت الأزمة الاقتصادية إلى مستوى غير مسبوق، وتصاعدت معدلات البطالة إلى أكثر من ٣٠٪، وتفشى اليأس في الناس ولم يعد لديهم ما يخسرون، فبدأ الحديث همسًا حول الحاجة الماسة إلى من يتجرأ ويقول للديكتاتور «كفى»، ويواجه الديكتاتورية في معقلها، لأن ما حدث في عام ٧٣ كان خطأ وجريمة لابد من إنهائها.

ظهرت البوادر الأولي للتمرد في قلب الاقتصاد التشيلي، في مناجم النحاس في الجبال، وذلك بالرغم من أن عمال المناجم كانوا نسبيًا يحصلون على أفضل الأجور بين عمال تشيلي. فبرز ناشط نقابي في العشرينيات من عمره يدعى(رودوفر سيفيل)، كان قد انتخب رئيسًا لمؤتمر العمل الوطني.

دعا المناضل سيفيل الشعب التشيلي للإضراب العام على مستوى البلاد،

بالرغم من أن العشر سنوات الأولى من عمر النظام القمعي كانت خالية تمامًا من الإضرابات، وكان الهدف هو مجرد فتح أعين الناس وتشجيعهم على الخروج من حالة اليأس والخوف. وقبل أسبوع من موعد الإضراب العام قام جنود بينوتشيه بمحاصرة مناجم النحاس مبدين استعدادهم لقمع أي عمل تظاهري بين العمال.

في اليوم الذي سبق موعد الإضراب غيَّر العمال خطتهم، وأعلنوا عن يوم احتجاج وطني لتعبئة العمال وأبناء الشعب التشيلي، ولكن بأسلوب سلمي بدون استفزاز جنود النظام.

وفي يوم الاحتجاج الذي أعلن عنه، بدأ الجميع يتحركون ببطء ملحوظ، فسائقو السيارات كانوا يقودون عرباتهم ببطء ملحوظ، وكان المارة يمشون في الطرقات ببطء ملحوظ وفي صمت، ومع ساعات الظهر عمت الحالة كل أرجاء البلاد، وبدا واضحًا للمراقبين أن الناس كانوا يمشون في الطرقات وكأنهم يتنزهون، فكان كل شئ يتحرك ببطء، وأغلقت المدينة أبوابها مبكرًا على غير العادة ورجع الناس إلى بيوتهم في صمت.

في نهاية اليوم لم يدرك قادة الاحتجاج مدى نجاح الاحتجاج على مستوى البلاد، وفي نفس الليلة خرج الناس إلى الشوارع يقرعون الطناجر والصحون النحاسية ومن على شرفات المنازل وفي الأماكن العامة.

وفي اليوم التالي، كان السؤال الأكثر انتشارًا بين الناس هو:«ماذا فعلت البارحة»، وكان الجواب التلقائي، مصحوبًا بابتسامة عريضة: «كنت أقرع على الصحون مع جيراني». وساد شعور إيجابي بين الناس بسبب إحساسهم بأهمية مشاركتهم العفوية والفعلية في الاحتجاج العام، وقد كانوا قبل ذلك أفرادًا منعزلين منطوين على أنفسهم.

واتخذت النقابة قرارًا بتكرار ذلك العمل مرة كل شهر، وقد كانت التجربة الأولى في غاية النجاح، وبمثابة الرسالة الواضحة للنظام القمعي بأننا لسنا في حاجة للسلاح للاحتجاج والرفض، وكان ذلك هو مبعث قوة الحركة الاحتجاجية التي استمرت لمدة عشرة أشهر متتالية.

وبعد أشهر قليلة من الاحتجاجات الشهرية، ومع تزايد مشاركة الناس فيها، أصبح الناس يصدقون بأن التظاهر والاحتجاج السلمي يستطيع إسقاط الديكتاتورية. فكانت الاحتجاجات سلمية ولم تستعمل فيها أية أعمال عنف، رغم أن قوات النظام القمعي زادت من حدة انتهاكاتها لحقوق الإنسان في البلاد، ولكن ذلك لم يعد له تأثير على الناس.

وفي الليلة التي سبقت الاحتجاج الرابع عين الرئيس بينوتشيه وزيرًا جديدًا للداخلية (سيجو هابا)، وأعلن عن استعداده لمحاورة المعارضة. ولكن في نفس الليلة، وفي تحرك مناقض تمامًا، نشر بينوتشيه آلاف الجنود في شوارع العاصمة، قامت في اليوم التالي بالتعرض للمتظاهرين بالقوة، وبأسلوب لم يسبق له مثيل، سقط خلاله عشرات القتلى ومئات الجرحى.

بدأت لقاءات المعارضة مع وزير الداخلية الجديد بعرض مجموعة من المطالب الرئيسة تتلخص في التالي:

١. السماح بالنشاط السياسي.

٢. السماح بعودة المنسيين.

٣ رفع الرقابة على الكتب.

وقد حاول وزير الداخلية تقديم بعض التنازلات المحدودة، ولكنها كانت أكثر مما يطيق بينوتشيه. فقام بتهميش وزير الداخلية، ونقلت الصلاحيات إلى

عناصر أكثر تطرفًا في النظام. وبالتالي لم تقم المفاوضات بتغيير النظام أو إضعافه، وإن كانت رسالة لبينوتشيه مفادها أن المعارضين فتحوا أمامهم طريقًا للعمل السياسي بالوسائل اللاعنيفة، برغم القناعة الراسخة لديهم بأنه لن يفاوض من أجل إنهاء سلطته المطلقة على البلاد.

وفي نوفمبر ١٩٨٥ شارك أكثر من نصف مليون شخص في أكبر تجمع سياسي في تاريخ تشيلي، نتج عنه الوفاق الوطني لقيادة المرحلة القادمة، التي تسعى لانتقال البلاد إلى الديمقراطية عبر المسار اللاعنيف. (**شارك في تلك التظاهرة السياسية الكنائس والأحزاب المعارضة ومؤسسات المجتمع المدني**).

وقد رفعت قيادة الوفاق الوطني شعارا توحيديًا: (**إن لم ندعم الوفاق الوطني فنحن مقبلون على حرب أهلية**).

بدأت حركة الوفاق الوطني تظهر بوضوح في الأحياء الفقيرة في المدن الكبيرة، وتحولت تلك القرى والأحياء إلى ساحة معارك منخفضة الحدة ضد النظام. والتزم الناس بعدم حمل السلاح أثناء التظاهرات، وفعلًا كان القليل من الناس في تلك الأحياء يحملون السلاح بالرغم من أن أيديولوجية الثورة المسلحة كانت تجد رواجًا كبيرًا في تلك المناطق. أما بينوتشيه فقد اعتبر تلك الأحياء مناطق معادية.

قامت الشرطة السرية بحملات تجميع شباب الأحياء الفقيرة في الملاعب والساحات والحقول للاستجواب الجماعي بدون أي ضوابط قانونية، وبالتالي تم اعتقال العديد من المشتبه فيهم، وأخذوا للمعتقلات دون محاكمات، بل أن المئات من الشباب قد اختفوا ولم يوجد لهم أثر.

زادت انتهاكات بينوتشيه لحقوق الإنسان، مما أقحم الكنيسة الكاثوليكية في الصراع. فبدأت الكنيسة تنادي بالتغيير السلمي والمقاومة السلمية والعمل

بالوسائل اللاعنفية، ورفعت شعارات منها:

إن ما يفرض بالعنف يستوجب الدفاع عنه بالعنف

ما يتحقق بالعنف يستوجب المحافظة عليه بالعنف

العنف هو سلاح الضعفاء الذين لا يملكون الحجج

ولا السلطة المعنوية

البعض يعتقدون خطأ بأن مواجهة العنف لا تتم بغير العنف

اضطر بعض المتظاهرين لاستعمال العنف في بعض المناطق مما أعطى الديكتاتور مبررًا لقمع كل المعارضين بكل قسوة، حتى أولئك الذين ينادون ويعملون بالوسائل اللاعنفية. وقد حاولت إحدى المنظمات الشيوعية اغتيال بينوتشيه، ولكنه نجا من العملية.

أدركت المعارضة السياسية أن العنف المضاد لعنف الديكتاتور لن يحقق لهم النجاح مطلقًا.

ومع نهاية عام ١٩٨٦ أصبح احتمال اندلاع حرب أهلية شاملة واردًا، ووجد الناس أنفسهم أمام خيارين لا ثالث لهما: إما تبني العنف المضاد والعمل المسلح، وإما ابتداع أساليب ووسائل أخرى لمقاومة الديكتاتور.

ولاحت فرصة ذهبية أمام المعارضة السياسية عندما دعا بينوتشيه إلى استفتاء عام على فترة أخرى من الحكم العسكري تستمر لمدة ثماني سنوات، وأدركت القيادات السياسية والشعبية والنقابية أنهم قد يستطيعون هزيمة الديكتاتور بكلمة واحدة (لا)، ولكن الأغلبية منهم كانوا يعلمون مسبقًا أن بينوتشيه ينوي أن يزور الاستفتاء بكل الوسائل غير المشروعة.

استعدت المعارضة لخوض معركة الاستفتاء، وأعدت الخطط لمنع أي عمليات

تزوير في ذلك اليوم، وقامت بحملة توعية في كل أرجاء البلاد، وسميت تلك الحملة الإعلامية «حملة لا»، التي تواصلت مع الناس من بيت إلى بيت، ورفعت شعار:

بوسع المواطن التشيلي قول كلمة (لا) بدون التعرض للانتقام

بدأت «حملة لا» وأظهرت بشاعة انتهاكات بينوتشيه لحقوق الإنسان في تشيلي، وقد استطاعت أن تستثمر الفرص التي أتيحت لها في وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون لتحقيق تقدم كبير في الحملة. فركزت الحملة على مسائل الحياة اليومية، والمشكلات المعيشية التي يعاني منها المواطن العادي.

فاجأت «حملة لا» بينوتيشه ومؤيديه منذ البث الأول لها، وأفقدته توازنه حتى يوم الاستفتاء.

انتشرت فكرة أن الشعب التشيلي سيهزم الديكتاتور بالقلم، ومع مرور الوقت بدأ الناس يتلمسون النصر بين أيديهم، ولذلك

قام قادة المعارضة بالإعلان عن إصرارهم على إدارة الصراع ضد الديكتاتور وأتباعه من دون كره أو حقد أو انتقام. ورفعت الحملة الشعار التالي قبل يوم الاستفتاء:

(لا) تعني (نعم) للديمقراطية

في مساء يوم الاستفتاء ظهرت النتائج الأولية بفوز (لا) بشكل حاسم، فأعلنت محطة إذاعية صغيرة مستقلة نتائج الاستفتاء، ولكن بينوتشيه لم يصدر أي نفي أو تأكيد. وفي منتصف الليل دخلت القوات التابعة لبينوتشيه القصر، وصرح قائد القوات الجوية لبعض الصحفيين قائلًا: «يبدو أن (لا) قد انتصرت»، وفي غضون ثوان أذيع التصريح على الأثير، وكان بمثابة الرسالة الواضحة، والتحذير الشديد

لبينوتشيه على ضرورة قبول النتائج والانصياع لرغبة الشعب التشيلي.

خرج الناس إلى الشوارع للتعبير عن فرحهم بسقوط الديكتاتور، وبالفعل سقط الديكتاتور دون اللجوء للعنف أو للحرب الأهلية أو للانقلاب العسكري، بل سقط بسبب:

- الموقف الذي اتخذه المواطن العادي من الديكتاتور.
- إظهار ذلك الموقف والتعبير عنه بقناعة وببساطة وبدون مواربة.
- والتزام المواطن العادي بإتباع أساليب المقاومة اللاعنيفة وعدم الانزلاق في دوامة العنف المضاد لعنف السلطة.
- تحلى المواطن العادي بالجرأة والشجاعة في التعبير عن قناعاته بضرورة التغيير اللاعنيف دون تردد أو خوف.

وبالفعل استطاع الشعب التشيلي الفقير إسقاط الديكتاتور، وشارك في تلك الملحمة كل واحد من أفراد الشعب، فلم يكن بينهم قائد مطلق، أو طليعي واحد متفرد؛ بل كان عددهم سبعة ملايين قائد ومناضل.[1]

(1) Peter Ackerman and Jack DuVall, A Force More Powerful: A Century of Nonviolent Conflict, (St. Martin's Press, 2000).

الملحق الثاني

الأشكال والنماذج التوضيحية

التمهيد

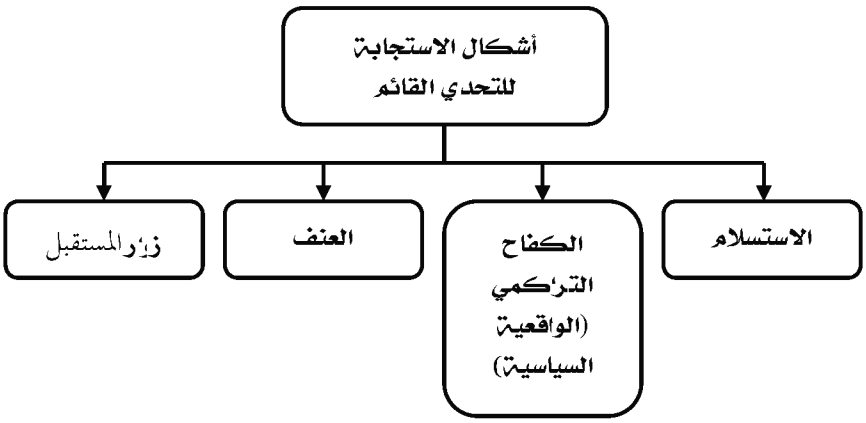

شكل 1: أشكال الاستجابة للتحديات

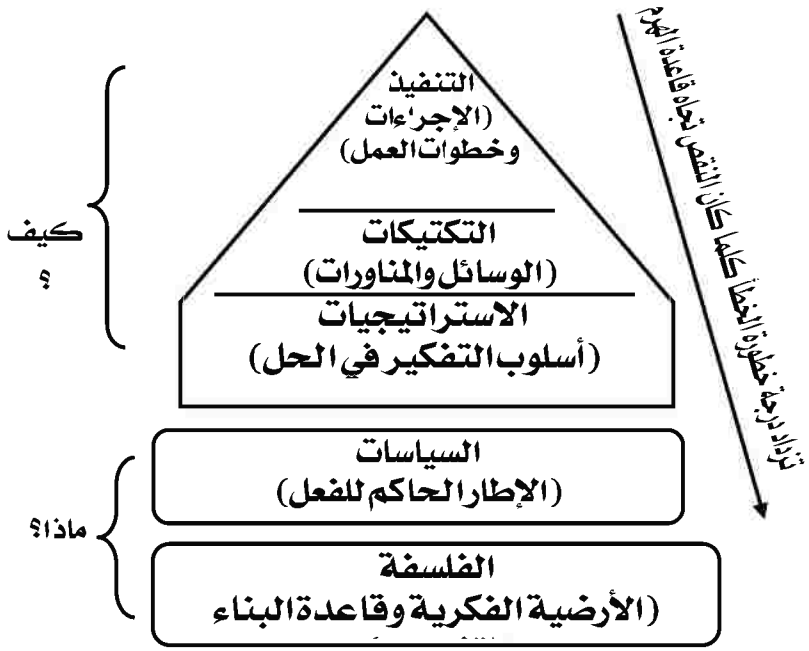

شكل ٣٣: البناء التغييري وستوياته الخمسة

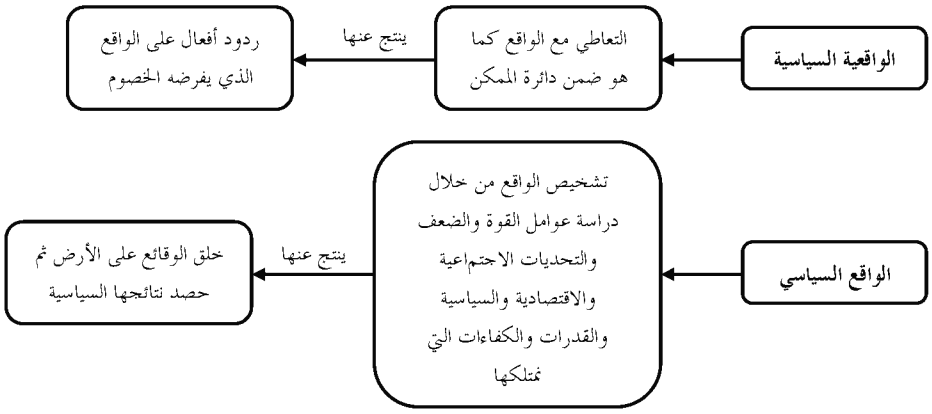

شكل ٣٤: الواقع السياسي والواقعية السياسية

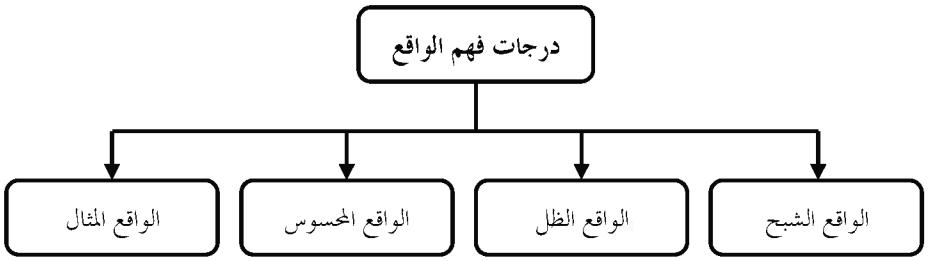

شكل ٣٥: درجات فهم الواقع الأربعة

الباب الأول: عبر بوابة الزمان

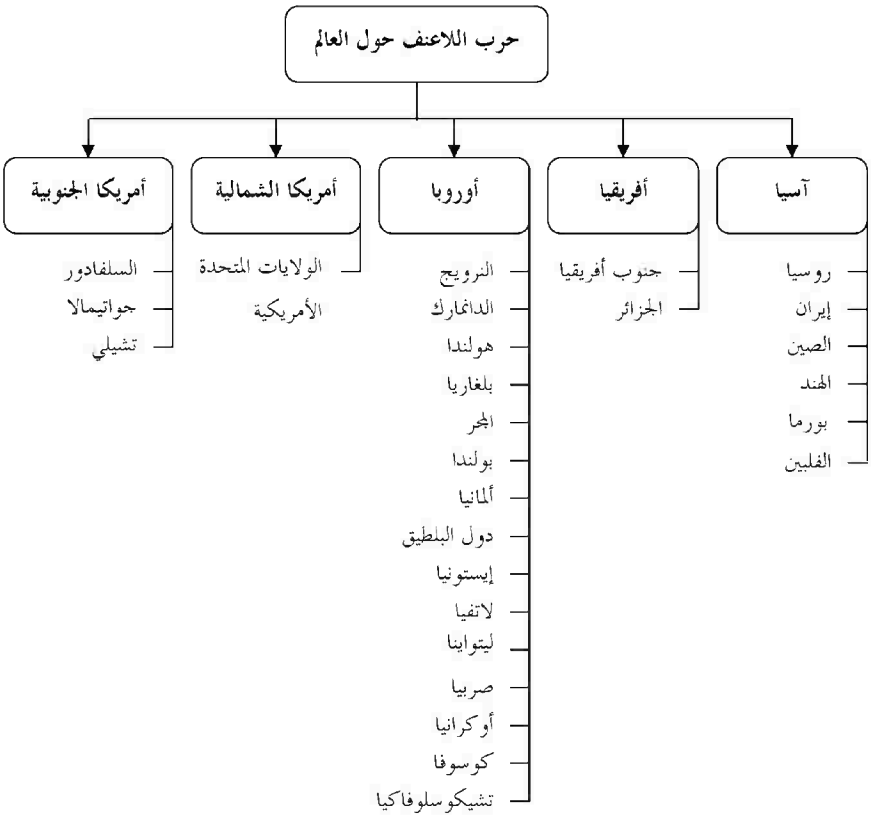

شكل ٣٦: حرب اللاعنف حول العالم

شكل ٣٧: حرب اللاعنف حول العالم

اللون الداكن يرمز للمناطق التي حدث فيها صراع لاعنيف

الباب الثاني: مفهوم حرب اللاعنف

الفصل الأول: طبيعة الصراع

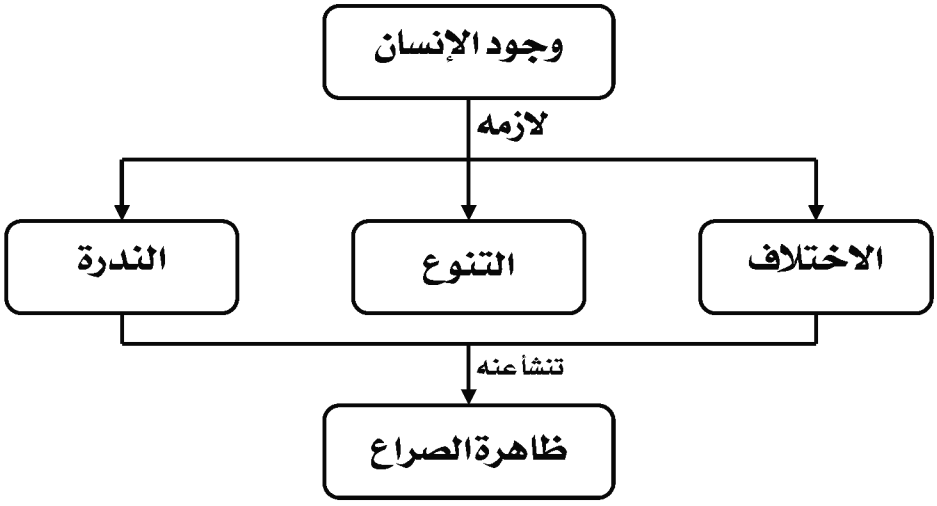

شكل ٣٨: حتمية التدافع والصراع من لوازم الوجود البشري وتنتج عن ظواهر ثلاث: الاختلاف، والتنوع، والندرة

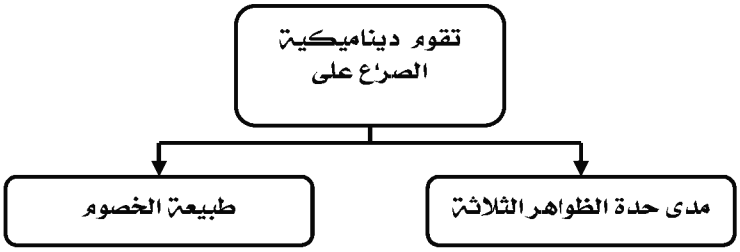

شكل ٣٩: ديناميكية الصراع تعتمد على عاملين: درجة الاختلاف والتنوع والندرة، وطبيعة الخصوم المختلفين

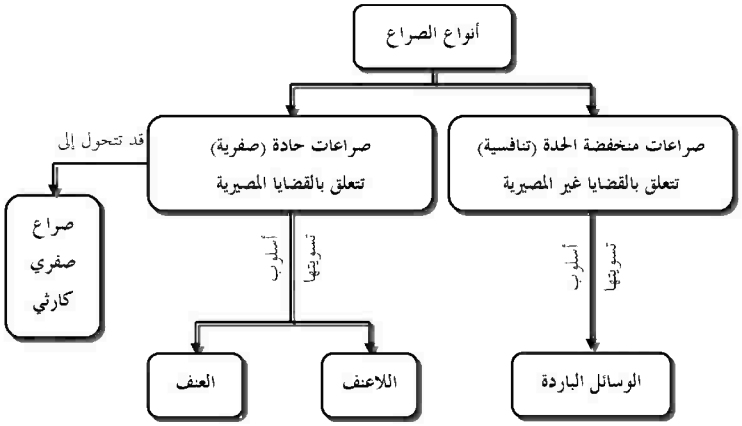

شكل ٤٠: أنواع الصراع السياسي والوسائل المناسبة لتسويتها

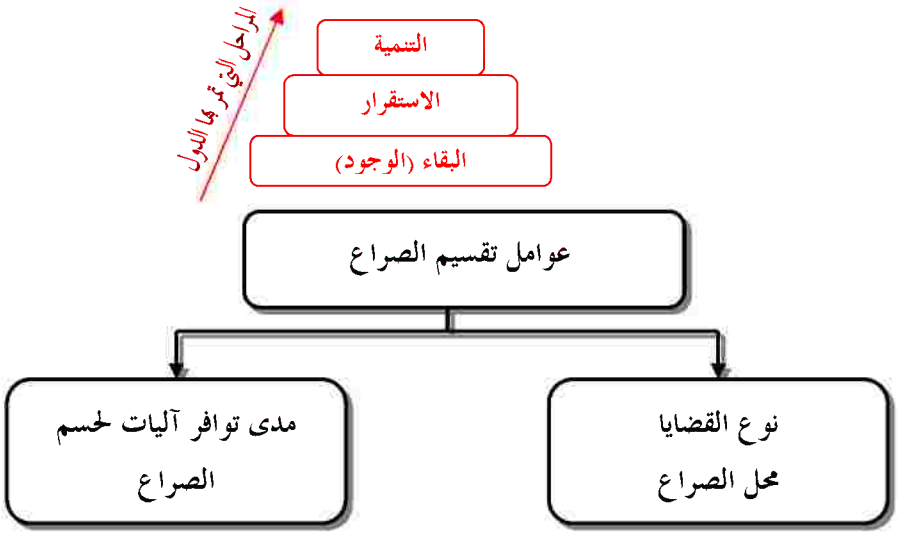

شكل ٤١: عوامل تقسيم الصراع، حسب نوع قضايا الصراع وتوفر آليات التعامل معها

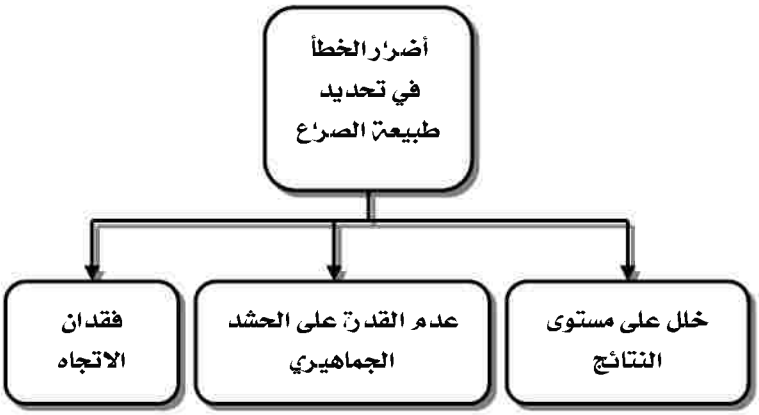

شكل ٤٢: أضرار الخطأ في تحديد طبيعة الصراع مما يؤدي إلى خلل في النتائج، وتعود الجماهير، واضطراب الأنشطة

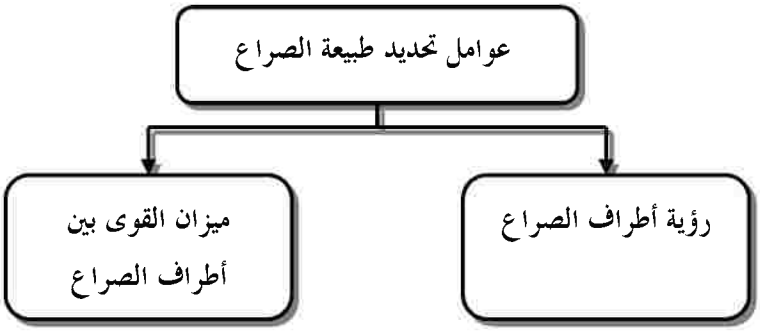

شكل ٤٣: عوامل تحديد طبيعة الصراع تنافسي أو صفري حسب رؤية الأطراف وميزان القوى بينهم

الفصل الثاني: أطراف الصراع

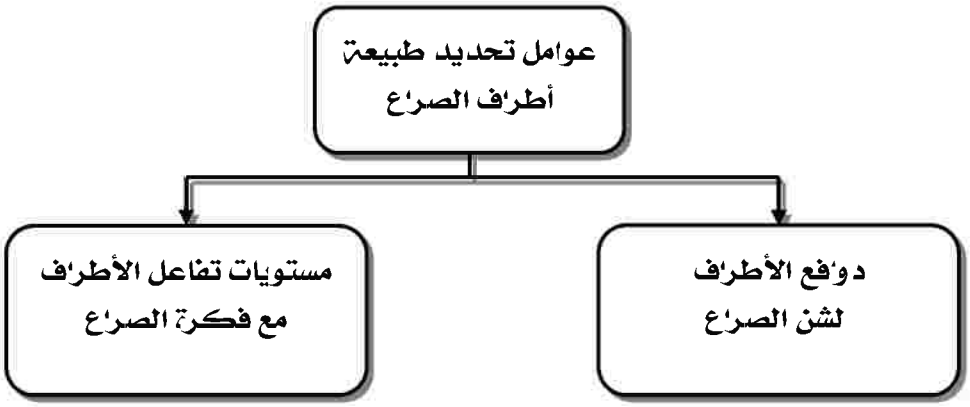

شكل ٤٤: عوامل تحديد طبيعة الصراع

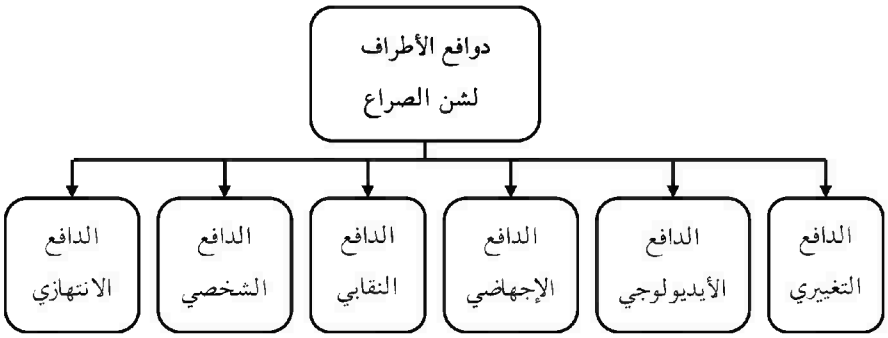

شكل ٤٥: دوافع الأطراف لشن الصراع

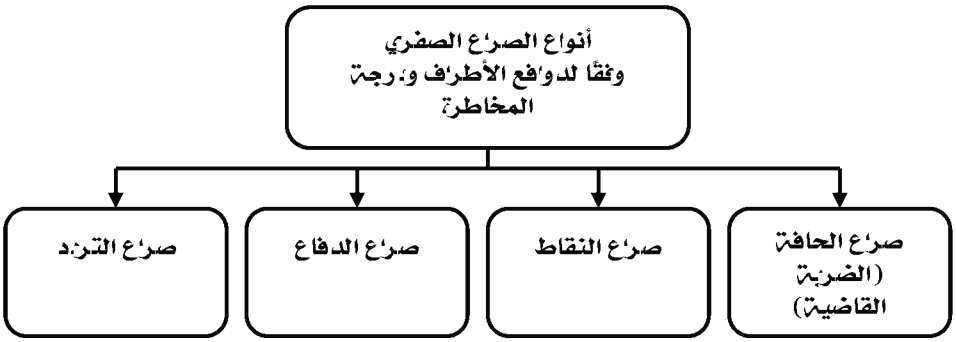

شكل ٤٦: أنواع الصراع الصفري وفقًا لدوافع الأطراف ودرجة الاستعداد للمخاطرة

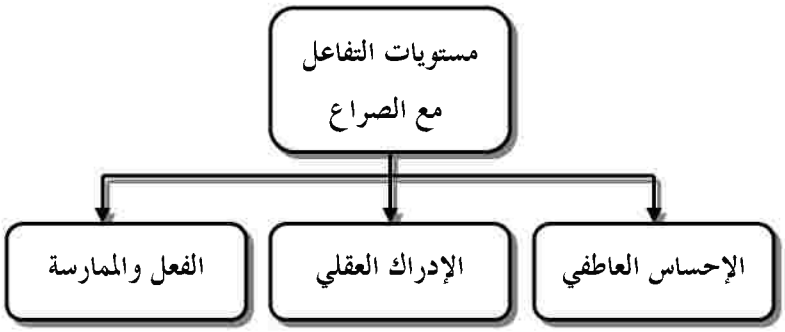

شكل ٤٧: المستويات الثلاثة للتفاعل مع الصراع، الإحساس، والعقل، والتجربة والتي يحدد على أساسها أطراف الصراع طبيعته

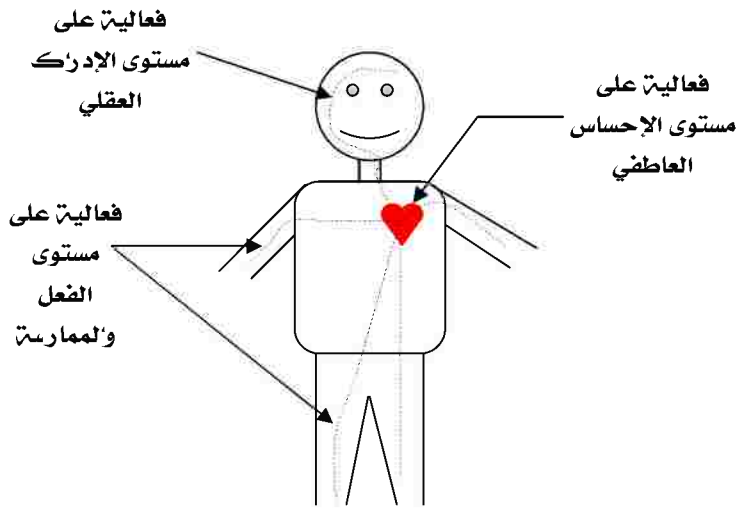

شكل ٤٨: النموذج الأمثل للفعل السياسي الصحيح = إدراك عقلي وعاطفة حساسة وفعالية في الأداء

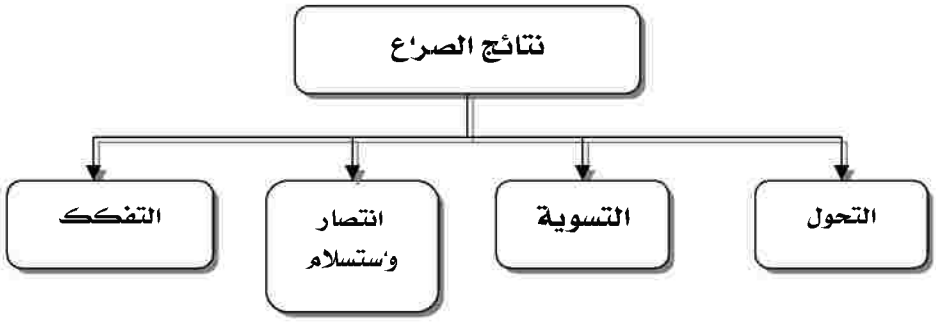

شكل ٤٩: الاحتمالات التي تمتهي إليها الصراعات

الفصل الثالث: طبيعة القوة السياسية

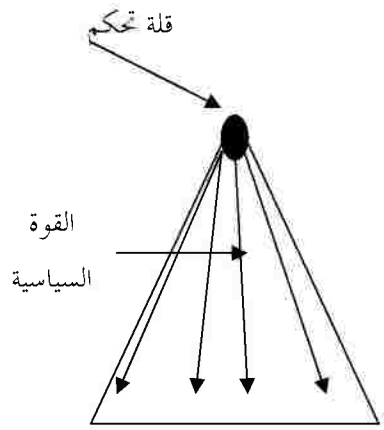

شكل ٥٠: القوة السياسية الذاتية واتجاه القوة هابط

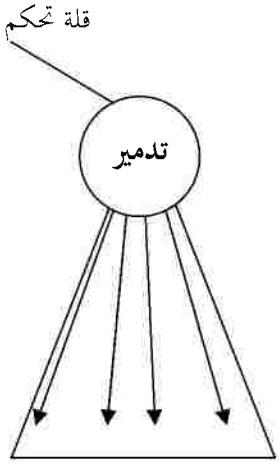

شكل ٥١: يقوم النشاط السياسي في نظرية القوة الذاتية على تدمير القلة المالكة للسلطة واستبدال هذه القلة بأخرى تسيطر

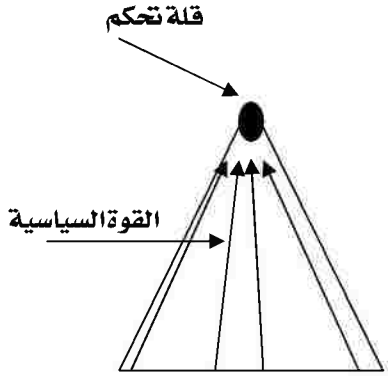

شكل ٥١: القوة السياسية الجماعية واتجاه القوة صاعد

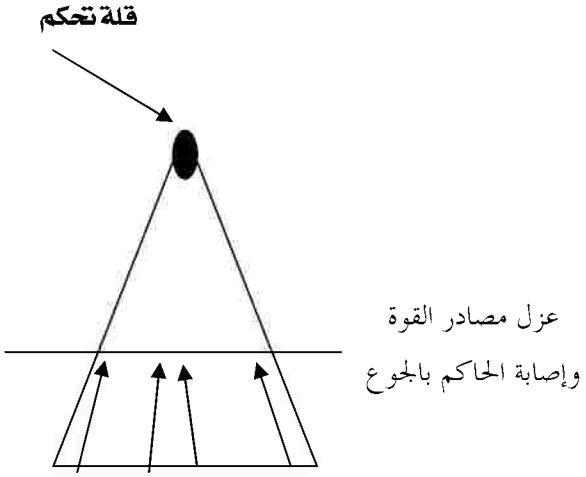

شكل ٥٢: يقوم النشاط السياسي في نظرية القوة الجماعية على تجويع الحاكم وكسر إرادته

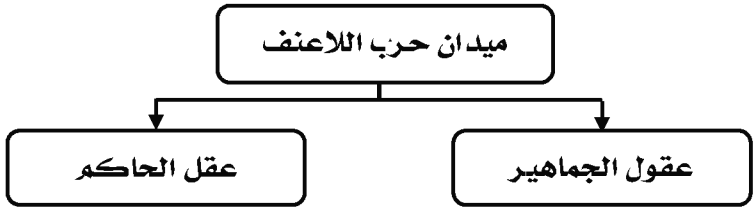

شكل ٥٣: في حرب اللاعنف، الميدان الأول والأساسي هو ميدان العقول

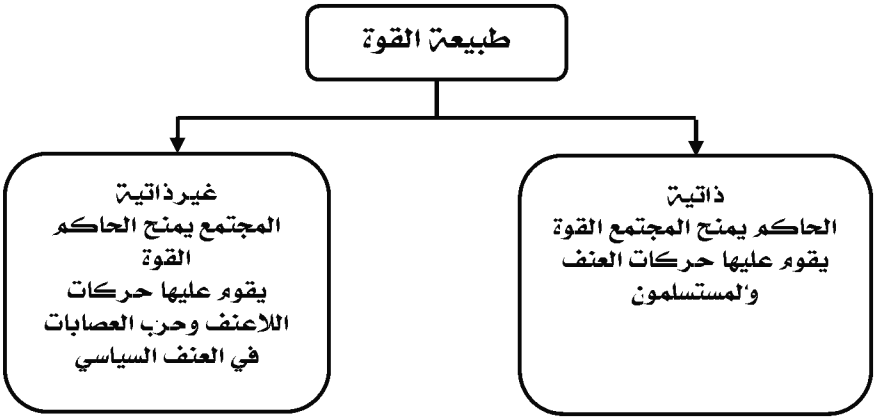

شكل ٥٤: شكل توضيحي لنظريتي القوة السياسية وطبيعة المجتمع الذي يقوم على كل من النظريتين

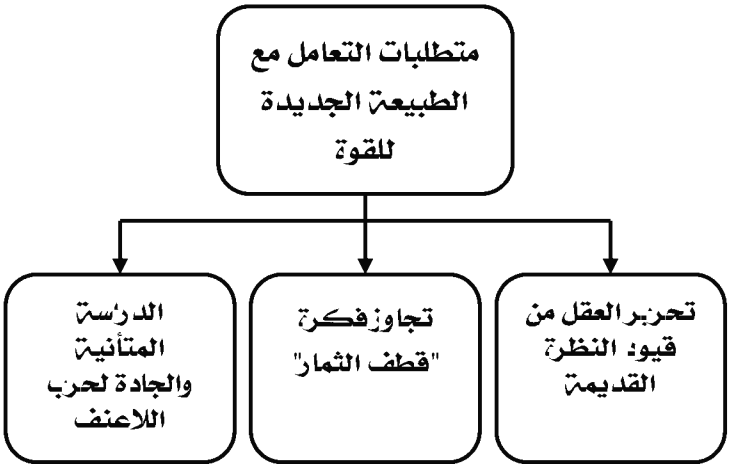

شكل ٥٥: متطلبات التعامل مع نظرية المصادر المتعددة للقوة

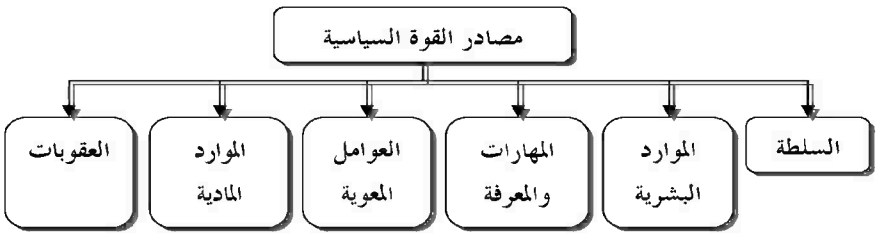

شكل ٥٦: بعض المصادر الأساسية للقوة السياسية

الفصل الرابع: طبيعة أسلحة حرب اللاعنف

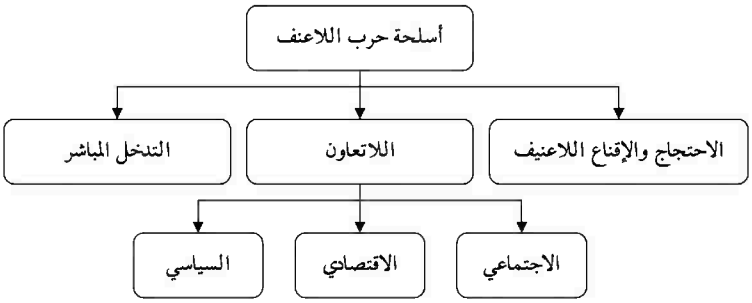

شكل ٥٧: المجموعات الثلاث لأسلحة حرب اللاعنف، الاحتجاج، اللاتعاون، والتدخل المباشر

الباب الثالث: حول أساسيات حرب اللاعنف

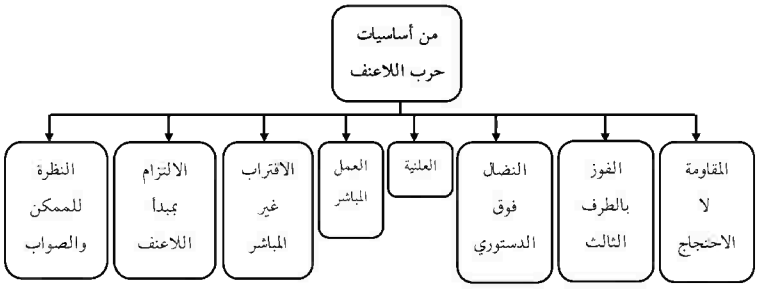

شكل ٥٨: من أساسيات حرب اللاعنف

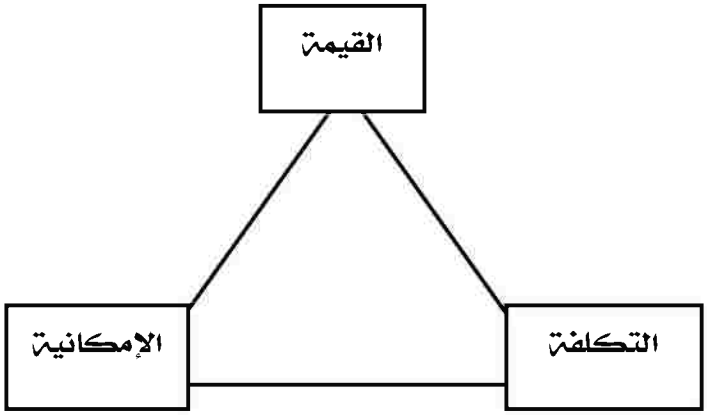

شكل ٥٩: الحاسة السادسة للجماهير، والتي يمكن استخدامها لدعوتهم إلى المشاركة في الصراع

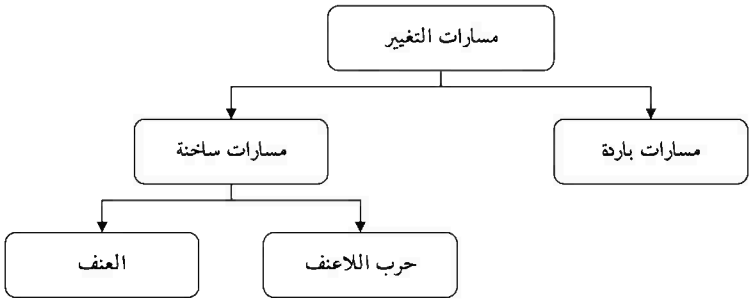

شكل ٦٠: مسارات التغيير

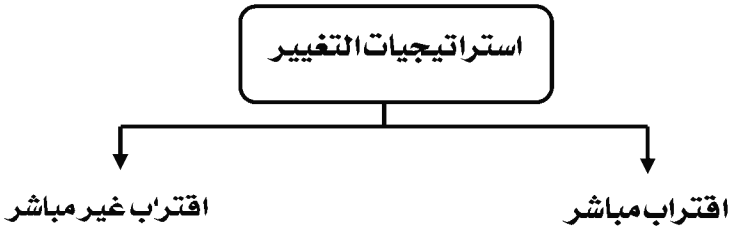

شكل ٦١: استراتيجيات التغيير

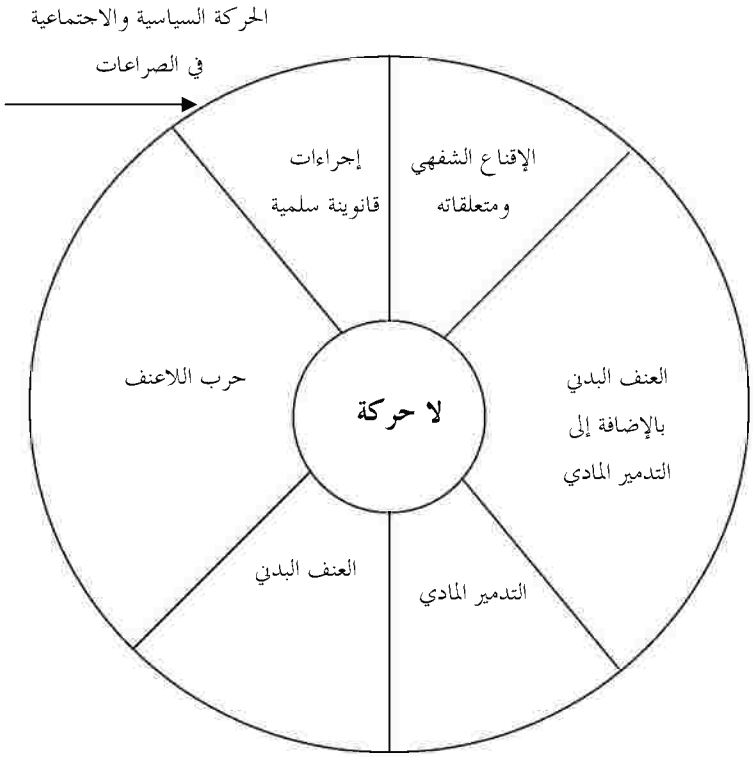

شكل ٦٢: الحركات التغييرية بين الحركة واللاحركة

الملحق الثالث

الجـــداول

نتائج حرب اللاعنف حول العالم

م	الدولة	القارة	التحدي	الاستجابة	النتيجة
١	روسيا	آسيا	ديكتاتورية القيصر	حرب اللاعنف	نجحت
٢	الصين	آسيا	الاحتلال الياباني	حرب اللاعنف	نجحت
٣	الهند	آسيا	الاحتلال البريطاني	حرب اللاعنف	نجحت
٤	إيران	آسيا	ديكتاتورية الشاه	حرب اللاعنف	نجحت
٥	روسيا	آسيا	محاولة المتشددين الإطاحة بالحكومة	حرب اللاعنف	نجحت
٦	الفلبين	آسيا	ديكتاتورية ماركوس	حرب اللاعنف	نجحت
٧	بورما	آسيا	نظام ديكتاتوري	حرب اللاعنف	فشلت
٨	الصين	آسيا	نظام ديكتاتوري	حرب اللاعنف	فشلت
٩	الجزائر	إفريقيا	انقلاب عسكري	حرب اللاعنف	نجحت
١٠	جنوب إفريقيا	إفريقيا	التمييز العنصري	حرب اللاعنف	نجحت
١١	ألمانيا	أوروبا	انقلاب عسكري	حرب اللاعنف	نجحت
١٢	ألمانيا	أوروبا	غزو فرنسي بلغاري	حرب اللاعنف	نجحت
١٣	النرويج	أوروبا	الاحتلال النازي	حرب اللاعنف	نجاح جزئي
١٤	الدانمارك	أوروبا	الاحتلال النازي	حرب اللاعنف	نجاح جزئي
١٥	هولندا	أوروبا	الاحتلال النازي	حرب اللاعنف	نجاح جزئي
١٦	تشيكوسلوفاكيا	أوروبا	غزو سوفيتي	حرب اللاعنف	نجاح جزئي
١٧	ألمانيا الشرقية	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
١٨	بولندا	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
١٩	المجر	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
٢٠	إيستونيا	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
٢١	لاتفيا	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
٢٢	ليتوانيا	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
٢٣	تشيكوسلوفاكيا	أوروبا	نظام شيوعي ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
٢٤	كوسوفا	أوروبا	الاستقلال عن صربيا	حرب اللاعنف	فشلت
٢٥	السلفادور	أمريكا الجنوبية	نظام ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت

م	الدولة	القارة	التحدي	الاستجابة	النتيجة
٢٦	جواتيمالا	أمريكا الجنوبية	نظام ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجاح جزئي
٢٧	تشيلي	أمريكا الجنوبية	نظام ديكتاتوري	حرب اللاعنف	نجحت
٢٨	الولايات المتحدة الأمريكية	أمريكا الشمالية	سياسات التمييز العنصري	حرب اللاعنف	نجحت

جدول ٥: التجارب التاريخية وفيه تبيان لنسبة نجاح الحركات التي تبنت حرب اللاعنف، ٧١٪ نجاح كلي، ١١٪ نجاح جزئي، ١٨٪ فشلت، وبذلك تكون نسبة النجاح بصفة عامة حوالي ٨٢٪

دوافع الأطراف لشن الصراع

	الدوفع	النظام	المقاومة
١	الثوري التغييري	التطلع إلى تغيير الوضع السياسي والاجتماعي في البلاد، مع الاعتقاد بالصواب المطلق، وبجهل الأحزاب والحركات والجماهير. **مثال**: الأنظمة القائمة على الزعيم الأوحد، مثل كوبا.	التطلع إلى تغيير الوضع السياسي والاجتماعي ، واستبداله بوضع آخر، بعد امتناع الحكم القائم عن قبول التغيير بالآليات التنافسية المدنية. **مثال**: حركات المقاومة مثل حركة أتبور في صربيا عام ٢٠٠٠.
٢	الأيديولوجي	وهو جزء من صراع الأفكار في العالم، وفي هذه الحالة فإن كلًا من النظام والمقاومة لا تحركهما أجندة محلية داخلية؛ ولكنهما يكونان جزءًا من مشروع كوني وعالمي، وتصبح المنطقة المستهدفة بالفعل – المشروع المحلي – ليست هدفًا في حد ذاتها ولكنها منطقة ارتكاز للمشروع الكوني. وبالتالي فإن تقديم التنازلات من قبل الطرفين لا يعد هزيمة داخلية أو محلية فحسب؛ ولكنه خسارة للمشروع الكوني الكبير. مثال: الأنظمة والحركات الشيوعية السابقة، وحركات المقاومة الإسلامية.	
٣	الإجهاضي	التطلع إلى إجهاض محاولات الانقلاب على النظام، تلك المحاولات	التطلع إلى إجهاض محاولات الانقلاب على النظام الصالح،

	الدوافع	النظام	المقاومة
		التي قد تتخذ شكل الانقلاب العسكري أو محاولات قوى سياسية أو أيديولوجية مناوئة تقويض النظام وفرض تصوراتها. مثال: الصراع بين حكومة الثورة وجماعة الإخوان المسلمين في مصر في خمسينيات القرن العشرين.	تلك المحاولات التي قد تتخذ شكل الانقلاب العسكري أو محاولات قوى سياسية أو أيديولوجية مناوئة تقويض النظام الصالح وفرض تصوراتها. مثال: تصدي الشعب الألماني لمحاولة الانقلاب العسكري عام ١٩٢٠.
٤	النقابي	التطلع إلى الحفاظ على الأوضاع المادية والمعنوية والسلطوية لطائفة أو طبقة اجتماعية معينة. **مثال**: الحكومات العسكرية حول العالم التي تريد الحفاظ على مكتسبات الجيش وإبقاءه في قمة الهرم السلطوي.	التطلع إلى تحسين الأوضاع المادية والمعنوية لطائفة أو طبقة اجتماعية معينة أو تغيير النظام الطبقي في المجتمع. **مثال**: الحركات العمالية التي انتشرت حول العالم خلال النصف الثاني من القرن العشرين.
٥	الشخصي / العائلي	الرغبة في الحفاظ على المصالح الشخصية والعائلية والحزبية والنقابية، تحت شعار أن مصلحة النظام وبقاءه واستقراره مقدم على مصلحة الوطن. فمعايير نجاح النظام حينها لا تتمثل في الجوانب السياسية (الحريات وحقوق الإنسان) أو الاقتصادية (الناتج القومي واستغلال الموارد ودخل الفرد) أو الاجتماعية (التجانس ودرجة التراضي) أو الصناعية (البحث والتصنيع والاستخدام)، ولكنها تتمثل في تثبيت أركانه والانتقال به من مرحلة الوجود إلى الاستقرار. مثال: الكثير من الأنظمة الدكتاتورية في العالم.	الطموح إلى الزعامة واعتلاء قمة الهرم السياسي والسلطوي في الدولة. وهو ما يمكن تفسيره بأنه مجرد حب للسلطة. مثال: بعض الأحزاب والحركات المغمورة.

	الدوافع	النظام	المقاومة
٦	الانتهازي	استغلال وضع غير طبيعي لاستلام السلطة دون تفكير مسبق في ذلك، مثل حدوث فراغ دستوري فجأة، فتبادر الحركة إلى شن الصراع من أجل فرض أجندتها في تلك اللحظات الحرجة في عمر النظام.	

جدول ٦: بعض الدوافع المؤثرة في حس أطراف الصراع والتي تحدد بناء عليها الحركات المقاومة والأنظمة الحاكمة استراتيجياتها وخططها الحمراء التي تحاول الدفاع عنها بكل الوسائل التي تملكها، وتحدد حجم وطبيعة ردود أفعالها إذا ما تعرضت للهجوم، وقد يجتمع لبعض أطراف الصراع أو جميعهم أكثر من دافع

مقارنة بين نظريتي القوة السياسية

القوة الذاتية	القوة غير الذاتية
جميع أدوات العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة بيد القلة التي تعتلي هرم السلطة.	كثير من أدوات العقاب والمكافأة والإجبار والمناورة بيد الشعب (الكثرة).
قوة الحكومة ذاتية ونابعة من قوة هذه القلة.	قوة الحكومة غير ذاتية وتصدر من الكثرة الذين في جذور هرم السلطة.
لذا يصعب تحطيمها أو التحكم فيها من قبل خصومها.	يمكن تفكيكها والتحكم فيها، لأنها قائمة على سحب التعاون ومعتمدة على مجموعات كثيرة.
الحكومة قادرة على السيطرة والتحكم في القوة.	الحكومة لا تتحكم في القوة بشكل مباشر أوكلي.
لا سبيل أمام الشعب (الكثرة) إلا الخضوع لإرادة الحكومة (القلة) والاعتماد عليها.	لا سبيل أمام الحكومة (القلة) إلا الاعتماد على الشعب والمؤسسات (الكثرة) في إدارة شئون الدولة.
اتجاه القوة هابط من أعلى (الحكومة) إلى أسفل (الشعب).	اتجاه القوة صاعد من أسفل (الشعب) إلى أعلى (الحكومة).
لإحداث التغيير يتم تدمير القائمين على القوة ونقل ملكيتها إلى المجموعة الجديدة (استبدال مولد طاقة بمولد آخر).	لإحداث التغيير يتم عزل مصادر القوة عن النظام وتركه يجوع سياسيًا.
يعتمد على هذه النظرية كل من: • الذين يعتمدون العنف والقوة التدميرية	يعتمد على هذه النظرية كل من: • الذين يعتمدون حرب اللاعنف في حسم

القوة الذاتية	القوة غير الذاتية
في حسم الصراعات. • الحركات اليائسة من إمكان التغيير، والتي تصور لها عقولها الحاكم وهو ممسك بزمام أدوات القوة.	الصراعات. • الذين يعتمدون في العنف السياسي على حرب العصابات، حيث يركزون على استنزاف الخصم وقطع خطوط الدعم و الإمداد.
الخلاصة: القوة ذاتية يمنحها الحاكم للمجتمع.	الخلاصة: القوة غير ذاتية يمنحها المجتمع للحاكم.

جدول ٧: مقارنة بين نظريتي القوة السياسية، الفردية والجماعية

المنظومة السداسية للتمييز بين المقاومة والاحتجاج

المقاومة	الإحتجاج
عمل قادر على إحداث التغيير.	عمل رمزي لا ينتهي بالتغيير.
فعل.	رد فعل.
نشاط علني يتسم بالتحدي.	نشاط يتسم بالانتهاء بالمهادنة.
خطوط حماية فعالة.	حماية عفوية غير مخططة.
إرادة ووعي بالأهداف.	عفوية.
تصميم على الاستمرار حتى تتحقق مكاسب حقيقية.	تسجيل حضور والتعبير عن موقف ثم الإذعان.
قائمة على تصور استراتيجي بعيد المدى.	لا تعتمد بشكل كبير على تصور استراتيجي بعيد المدى.

جدول ٨: المنظومة السداسية للتمييز بين المقاومة والاحتجاج، حيث تتسم أعمال المقاومة بأنها أفعال تدفع الخصم إلى الرد، وتكون هذه الأفعال علنية تتحدى الخصم، وتسعى لفرض قوانين صراع جديدة تمكن المجتمع من حماية أنشطته والاستمرار التصعيدي فيها حتى يصل إلى مبتغاه بشكل واع استراتيجي رغم أنف النظام الدكتاتوري القمعي

ثبت المراجع

أولًا: المراجع الأجنبية:

- Andrew Heywood, Politics, (New York: Palgrave Macmillan, 2nd ed., 2002).
- Bertram D. Wolfe, Three Who Made a Revolution (New York: Dial Press, 1948, and London: Thames and Hudson, 1956).
- Eyke, A History of The Weimar Republic, vol. 1, *passim*.
- F. R. Cowell, The Revolutions of Ancient Rome (New York: Frederick A. Praeger, 1962, and London: Thames and Hudson, 1962).
- Gene Sharp and Bruce Jenkins, The Anti-Coup. Boston, Massachusetts: Albert Einstein Institution, 2003.
- Gene Sharp, Civilian–Based Defence: A Post-military Weapons System. Princeton, New Jersey and London: Princeton University Press, 1990.
- Gene Sharp, Creative conflict in Politics, (Extending Horizons Books, Porter Sargent Publishers Inc., 1973).
- Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy. Bangkok: Committee for the restoration of Democracy in Burma, 1993. Also, Boston, Massachusetts: Albert Einstein Institution, 2002.
- Gene Sharp, The Politics of non-violent action. Boston: Porter sargent, 1973. Three paperback volumes.
- Gene Sharp, "The Role of Power in Non-violent Struggle." Cambridge, Massachusetts: Albert Einstein Institution, 1990.
- Gene Sharp, Social Power and Political Freedom. Boston: Porter sargent, 1980.
- Gene Sharp, waging Non-violent Struggle: Twentieth Century Practice and twenty-First century Potential. Forthcoming 2003.
- Gene Sharp, Gandhi Wields The Weapon of Moral Power, Porter sargent, 1980.
- Goodspeed, The Conspirators.
- Halperin, Germany Tried Democracy.
- Hugh Seton-Watson, The Decline of Imperial Russia, 1855-1914 (New York: Frederick A. Praeger and London: Methuen & Co., 1952).
- Jeremy Bennett, "The Resistance During the German Occupation of

Denmark 1940-5," in Roberts, ed., Civilian Resistance as a National Defense.

- Leonard Schapiro, The Communist Party of the Soviet Union (New York: Random House, 1960, and London: Eyre & Spottiswoode, 1960).
- Magne Skodvin, "Norwegian Nonviolent Resistance During the German Occupation," in Roberts, ed., Civilian Resistance as a National Defense, Br. Ed.: The Strategy of Civilian Defense.
- Magnus Jensen, "Kampen om Skolen," in Sverre Steen, general editor, Norges Krig (Oslo: Gyldendal Norsk Forlag, 1947-50).
- Mario Rosenthal, Guatemala: The Story of an Emergent Latin-American Democracy (New York: Twayan Publishers, 1962).
- Michael Prawdin, The Unmentionable Nechaev: A Key to Bolshevism (London: Allen and Unwin, 1961).
- Per Herngren, PATH OF RESISTANCE, The Practice Of Civil Disobedience, (New Society Publishers, 2004)
- Peter Ackerman and Christopher Kruegler, Strategic Non-violent Conflict: The Dynamics of People Power in the Twentieth Century. Westport, Connecticut and London: praeger, 1994.
- Peter Ackerman and jack Duvall, A Force More Powerful: One Hundred Years of Non-violent Conflict. New York: St. Martin's Press, 2000.
- Ranganath R Diwaker, Satyagraha: Its Technique and History (Bombay: Hind Kitabs, 1946).
- Richard Charques, The Twilight of Imperial Russia (London: Phoenix House, 1958).
- Ronald McCarthy and Gene Sharp, with Brad Bennett, Non-violent Action: A Research Guide. New York: Garland Publishing, 1994.
- Ronald M. Schneider, Communism in Guatemala 1944-1945 (New York: Frederick A. Praeger, 1958).
- Russell B., Peace and Non-Violence in the west London, 1982, 2nd edition.
- S. Gopal, The Viceroyalty of Lord Irwin, 1926 – 1931 (London: Oxford University Press, 1957).
- Sidney Harcave, First Blood: The Russian Revolution of 1905 (New York: Macmillan, 1964, and London: Collier Macmillan, 1964).
- Sorokin Pitirim, Sociology of Revolution, (New York: the free press, 1983, 2nd edition).

- Solomon M. Schwartz, The Russian Revolution of 1905: The Worker's Movement and the Formation of Bolshevism and Menshevism, trans. by Gertrude Vakar, with a Preface by Leopold H. Haimson (Chicago and London: University of Chicago Press, 1967).
- Sverre S. Amundsen, gen. Ed., Kirkenes Ferds, 1942 (Oslo: J.W. Cappelens Forlag, 1946).
- Theodor Mommsen, The History of Rome, trans. William Purdie Dickson. rev, ed, (London: Richard Bentley & Son, 1894).
- T. K. Mahadevan, eds., Gandhi: His relevance for Our Times (Berkeley, Calif.: World Without War Council, 1971, and New Delhi: Gandhi Peace Foundation, and Bombay: Bharatiya Vidya Bhavan, 1967).
- Thoreau, H.D., "Civil Disobedience," The Selected Works *of* Thoreau, Walter Harding, ed. (Boston: Houghton Mifflin Company, 1975).
- Tyranny Could Not Quell Them (pamphlet) (London: Peace News, 1958 and Later edition).
- Warmbrunn, The Dutch Under German Occupation 1940-1945.
- Wilfred Harris Crook, The General Strike.
- Wolfgang Sternstein, "The *Rhurkampf* of 1923: Economic Problems of Civilian Defense," in Adam Roberts, ed., Civilian Resistance as a National Defense: Nonviolent Action Against Aggression (Harrisburg, Pa.: Stackpole Books, 1968).

ثانيًا: المراجع العربية

- د. إبراهيم الدسوقي شتا، الثورة الإيرانية.. الصراع.. الملحمة.. النصر ١/ ٢، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.
- المقريزي في إمتاع الأسماع (١ / ٣٠، ٣١).
- المهاتما غاندي، كل البشر أخوة، ترجمة د . أنطوان أبو زيدة، الطبعة الأولى، شركة دار الجديد، ١٩٩٧.
- جان ماري مولر ، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوق الإنسان، بيروت، ١٩٩٩.

- داني كوكس وجون هوفر، القيادة في الأزمات، بيت الأفكار الدولية، الولايات المتحدة الأمريكية.
- د. جاسم سلطان، القواعد الاستراتيجية في الصراع والتدافع الحضاري «قوانين النهضة»، (المنصورة: مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥).
- د. جاسم سلطان، نحو وعي استراتيجي بالتاريخ «الذاكرة التاريخية»، (المنصورة: مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥).
- ريهام محمد، مقالات كتبت على موقع إسلام أون لاين للكاتبة.
- صلاح أحمد زكي، تجديد الفكر المقاوم.. نحو نظرية للأمن العربي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.